

من مطبوعات الرابطة (8)

شعر

الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله،

عرّبه وقدم له

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

والشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، رائد الشعر البنجاي وقائده دون منازع، هو إمام الشعر الصوفي ليس في إقليم بنجاب فحسب بل في شبه القارة كلها عبر التاريخ، وهو يعتبر عند الباحثين لبنة أساسية يقوم عليها تاريخ الشعر البنجاي، إذ لم يعرف قبله شاعر بنجاي، ليس بين المسلمين فحسب بل بين غيرهم من سكان إقليم بنجاب (أي أرض الأتھار الخمسة) عبر تاريخه الطويل، فهو، إذن، أبو الشعر البنجاي، وأول من قرض الشعر بلغة بنجاب، ومهد الطريق لشعرائها الذين جاءوا من بعده وقلدوه في لفظ الشعر ومعناه و في أسلوبه الأدبي الذي اختاره للتعبير به، وقد احتفظ التاريخ بشعره الذي وصل إلينا بالوسائل المتعددة المتنوعة التي سوف نعرفها، وأخذ شعراؤنا المعاصرون يقرضون الشعر البنجاي، بأنواعه الكثيرة المتعارف عليها في كل لغة معاصرة من لغات الشرق والغرب، على منواله، إلا أن الفضل دائما يرجع إلى الرائد المتقدم الذي، هنا هو شيخ الشيوخ المتصوفين الشيخ فريد الذي اكتسب في الشعر البنجاي نفس المكانة التي يحتلها (ولي) الدكني في الشعر الأردّي أو التي

يستحقها (رودكي) في الشعر الفارسي، أو ما ناله أبودواد الإيادي أو عمرو بن قمئة أو عدي بن ربيعة المهلهل، الذي هلهل الشعر العربي أي رققه، والذي هو أول من قصد القصائد العربية، في الشعر العربي، كما صرح به غير واحد من أئمة اللغة العربية وآدابها، فذلك هو الفضل الفريد الذي حازه الشيخ فريد الدين مسعود الأجددهني في الشعر الناعم النضر للغة أرض الأنهار الخمسة التي لم تزل ولا تزال تروي هذه الأرض الخصبة الطيبة السخية الكثيرة الخيرات كما يروي شعر فريد عقول أهل بنجاب وينورها ويغذيها تغذية معنوية صالحة على تعاقب الأجيال ومرور الأيام!

وقد ولد هذا الشاعر البنجابي الفريد والعالم النبيل والصوفي الفذ، على ما صرح عند الباحثين المحققين، ونراه صواباً، في النصف الأخير من القرن الهجري السادس وبالضبط في 569هـ (1186م) ويؤيده ماجاء في سير الأولياء للكرماني وما رواه صاحب أخبار الأخيار الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي من مدة حياة الشاعر وتاريخ وفاته، وقد قيل إن مولد الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، 571هـ، وقيل 584هـ، وأما المكان الذي ولد فيه فهي قرية كانت ولا تزال تقع على مقربة من مدينة ملتان العريقة وتسمى "كوئي وال" ومعناها القرية ذات القصر أو الفيلا، وللناس في نطقها مذاهب، والذي صح عندنا هو ما حققه و صوبه الأستاذ الأديب العلامة (محمد آصف خان) في مقدمة ديوان الشاعر الذي طبع ونشر بتحقيقه وبهوامشه المفيدة ومقدمته الطويلة القيمة، وقد صوب تلك التسمية والنطق بها بعد سفر طويل شاق قد اختاره خصيصاً لهذا الغرض،

فوصل إلى ذلك المكان فسأل الناس من أهله عن اسمه في القدم والحديث فقبل له إنها قرية صغيرة لا تزال عامرة وبها قبور آباء الشيخ فريد الذي ولد بها في أسرة عربية مهاجرة تحدرت من قندهار في أفغانستان فنزلت بتلك القرية وقد كان جده شعيب بن أحمد من أهل العلم والفضل فعينه خطيباً بمسجدها الجامع وقاضياً بمحكمة، وكان أحد أبنائه البررة الشيخ جمال الدين سليمان بن شعيب والد الشيخ الذي تزوج امرأة صالحة من بنات الشيخ وجيه الدين الخجندي من القاطنين بالمنطقة وكانت تسمى قرسوم (ولعل الصواب كلثوم؟!) فهذان الزوجان الكريمان كانا قد رزقا بمولود سعيد قد قدر الله له أن يعرف بالشيخ فريد الدين مسعود من كبار الصوفية الجشتية في شبه القارة، وإليه تنتهي السلسلة في بنجاب وبه وجد الكثيرون من أتباعها، وقد انتشرت السلسلة في الأنحاء وتشعبت منها فروع لها ليس في إقليم بنجاب فحسب بل في أنحاء شبه القارة كلها، وقد اشتهر أصحاب هذه الفروع وعرفوا بخلفاء الشيخ فريد وأتباعه، ولهم دور مهم مفيد في دعوة الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي في هذه البلاد التي حكمها الملوك المسلمون إلى ألف عام أو أكثر.

وبما أن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، كان قد عمر طويلاً وكاد يبلغ مئة سنة من الغمر، قد اشتهر، بيق مواطنيه وأهله ومن تبعهم من الأجيال إلى يومنا هذا، "بالبابا" ومعناها بالبنجائية الجد أو من شابهه من الكبراء، ولا يزال الناس يذكرونه بذلك اللقب أو الاسم حتى أنه قد صار جزءاً من الاسم العلم له فقالوا: "بابا فريد" كما أنه قد عرف واشتهر على

ألسنة العامة والخاصة بلقب آخر يكاد يكون جزءاً من اسمه العلم وهو "كنز السكر أو معدن السكر" وهذا اللقب يليق به فقد كان، رحمه الله، كنزاً من كنوز الحلاوة ومعدناً من معادن الخلق الحسن في حديثه العذب وكلامه اللين وسلوكه الكريم، وقد لقبه بذلك شيخ طريقته ومرشده الصوفي الولي الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي، رحمه الله، وذلك أن الشيخ فريد قد كان قانع الشهوات وقاهر اللذات يحب الفقر الغيور ويفضله على الغناء والمال والثروات ويكابد الجوع ليل نهار ويختاره على الشيع عاملاً في ذلك بسنة سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال الفقر فخري، والذي كان يحب الفقراء ويميل إلى المساكين ويزهد في الدنيا وما فيها من اللذات الفانية والزخارف الكاذبة فيروي أن فريداً كان جائعاً مرة من المرات قد أنهكه الجوع وأتعبه، فوضع الحصاة في فيه يعلل بها نفسه فبداله كأن الحصاة قد استحالت إلى قطع من السكر فحكى ذلك لشيخ طريقته فقال له: أنت كنز السكر ومعدنه يا سيدي" فأرسلها مثلاً سائراً على ألسنة الناس وسار بها الركبان وطار بها الأفواه، ولعل ذلك كان من دأبه كلما اشتد به الجوع ولم يجد شيئاً من الطعام والشراب ولم يجد له غير الخشب الجاف أو الحصى عاملاً في ذلك بما يحكي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو ما يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته البررة الكرام أنهم شذوا الأحجار على بطونهم يوم الخندق لأن الحرب طالت وامتد الحصار وقل الطعام فلجأوا إلى هذه الحيلة التي تسد ألم الجوع

وذلك معروف يروي في كتب السيرة والتاريخ! وبها عمل الشيخ فريد لكي يستعين بذلك على جوعه وفقره!

وللناس في هذا التلقيب أو التسمية أقوال وآراء وحكايات يطول ذكرها وسردها ويصعب الاستيعاب بها ويضيق بها المكان، فمنها ما يحكى عن أم فريد الصالحة الحنون أنها أرادت أن يصلى ابنها البار الصلوات الخمس في أوقاتها و يواظب عليها و يعرض عليها بالنواجذ، وكان فريد الولد الصغير يحب السكر والحلوى فقالت له أمه وهى تنصح له وتأمره بالمداومة للصلوات الخمس والمواظبة عليها: "إنك لو صليت الصلوة في وقتها لو جددت السكر تحت سجادتك" ثم أخذت تدس السكر تحت السجادة قبل كل صلوة ولكنها نسيت يوما أن تقوم بعملها المعتاد، ودخل وقت الصلوة و سارع فريد الولد الصغير إلى صلاته لكي ينتهى منها ثم يعثر على السكر تحت سجادته كالمعتاد فإذا به ينهى الصلاة و يرفع السجادة فيجد تحتها السكر ولم تكن أمه قد وضعت و خافت أن الطفل إذا لم يجد السكر في مكانه كالمعتاد فقد يظن بربه الظنون، ولكنها دخلت على ابنها فإذا به قد وجد السكر وبدأ يأكله كالمعتاد فأعجبت الأم الصالحة بالحدث الجلل وتأكدت أن ذلك من كرامة ابنها الصالح الذي سيكون له نبأ في المستقبل من الأيام، منذ ذلك الوقت لقبه الناس بمعدن السكر فتناقلته الأجيال على ألسنتها!

ومنها ما حكاه البعض أن الشيخ قد مر به جمال يحمل السكر على جملة فسأله الشيخ فريد الدين مسعود عماذا كان على الجملة فخشى

الجمال أن يسأل منه الفقير المعدم قليلا من السكر فقال " هذا ملح أيها الفقير!" فقال فريد: " طيب! إنه سيكون ملحاً! فبارك الله لك فيه!" واكتشف الجمال أن السكر قد استحال إلى الملح فندم على ما كذب وظن أن ذلك من دعائه عليه فعاد إليه و اعتذر فقال له الشيخ لا تحزن فإنه سيكون سكرًا باذن الله فعاد الجمال فوجد الملح قد استحال إلى السكر وقد نظم الحكاية بعض الشعراء، وهو الأمير محمد بيرم خان الملقب بخان خانان أى سيد الخانات، من أتباعه، بالفارسية فقال:

كان نمك جهان شكر شيخ بحروبر
آن كز شكر نمك كند واز نمك شكر

" أي أن الشيخ فريد الدين مسعود هو معدن الملح و دنيا السكر و شيخ البحر و البر! ذلك الذي يجعل من السكر ملحاً ومن الملح سكرًا! " فالهمم أن الشيخ فريد الدين مسعود ، رحمه الله ، لا يزال الناس يدعونه بمعدن السكر في شبه القارة كلها!

وكذلك فإن الكثيرين من المؤلفين الذين ترجموا للشيخ فريد الدين و ذكروه في مؤلفاتهم قد رفعوا نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه و جعلوه من سلالة، و من أغرب الأشياء و أطرفها، أنهم ، في نفس الوقت ، جعلوه من سلالة الملك الناسك الزاهد الصوفي الولي إبراهيم بن أدهم، رحمه الله،! وذلك ما ياباه التاريخ وينكره المنطق ومما لا يثبت لدينا ألبة، وقد فصل فيه القول الأستاذ (محمد آصف خان) وفي ذلك غناء عن المزيد وملخصه إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق ابنا لعبد الله بن عمر بن

الخطاب رضي الله عنهما يسمي "ناصرًا!" وأن إبراهيم بن أدهم الذي حكم "بلخ" في بلاد ماوراء النهر والذي تنازل عن العرش في حق ابنه واختار الزهد في الدنيا لم يكن قرشياً وإنما كان عجلياً من ولد منصور بن يزيد بن جابر العجلي ، وأن الشيخ فريد الدين مسعود لم يكن ابن أخت للملك محمود الغزنوي كما أن أسرة الشيخ لم تحكم كابل ولم يقض على حكمها جنكيز خان المغولي ولم يقتل جد الشيخ، فقد توفي الغزنوي في 1030م بينما ولد الشيخ فريد في 1173م فأني يمكن أن يكون ابن أخت محمود الغزنوي، رحمه الله!!

والشيخ رحمه الله، قد كان من الشعراء المعمرين وقد اختلفت الأقوال وتضاربت الروايات عن عمره الطويل فقيل إنه عاش 93 سنة وقيل 95 سنة، وهو الأصح عندنا، ونري الشيخ يشكو آلام الحياة الطويلة وتكاليفها الثقيلة وأعباء الشيخوخة وأسقامها على دأب الشعراء العرب والعجم القدامى الذين عمروا طويلاً، فلما أتعبتهم العوادي والأسقام تضايقوا بها وتبرموا منها فأنبروا يشكون الهرم والشيخوخة وعناءها ومشقتها فمنهم الشاعر العربي الصحابي، من شعراء المعلقات السبع، سيدنا لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، وهو الذي يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ومن قول هذا الناس كيف لبيد؟!

وبدأ الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، يتعلم العلم ويتدرج فيه ويمر بمراحله المختلفة فقرأ القرآن الكريم، وهو طفل صغير، على أمه الصالحة الحنون ثم قرأ الكتب المدرسية الابتدائية على والده الفاضل ثم خرج في

سبيل العلم متجها نحو ملتان العريقة وهو لا يزال صبيا مراهقا فاشتغل على أبرز علمائها طالبا قارئاً هناك وكانت من أهم المراكز الثقافية في وقتها فاستفاد من علمائها الأفاضل و أساتيذها الكبار ولا سيما من الشيخ منهاج الدين الترمذي الذي استفاد منه كثيراً و أخذ عنه علما غزيراً، وبالصدفة الطيبة أدرك بها شيخ المشائخ العالم المتصوف قطب الدين بختيار الكاكي أو الكعكي الأوشي ثم الدهلوي، رحمه الله ، و ذلك في سنة أربع و ثمانين و خمسمائة من الهجرة، على مارواه اللكنوي في نزهة الخواطر، فبايعه الشيخ فريد الدين مسعود وأراد أن يرافقه إلى دهلي و يصاحبه في الظعن و الإقامة إلا أن الكعكي لم يسمح له بذلك و أمره أن يكمل دراساته المتداولة أولاً فامتثل الطالب الشاب بأمر شيخ طريقته و قرر في نفسه أن يخرج إلى العواصم الثقافية الإسلامية في وقته فرحل إلى قندهار و مكث بها خمس سنوات يدرس و يستفيد من علمائها ثم نراه يعتزم على الأسفار الطويلة البعيدة إلى البلاد الإسلامية الواسعة و السير في الأرض عاملاً بقول الله عزوجل: "قل سيروا في الأرض" ليشاهد المعالم والآثار فيتعظ بها و يجمع الحكم إلى العبر، ويقابل رجال العلم و المعرفة والتصوف و الطريقة ليتمتع برؤيتهم والحديث إليهم والاستفادة منهم ، وفي خلال أسفاره هذه الطويلة قد أدرك العديد من أعلام التصوف العظام و أولياء الله الكرام، و منهم الشيخ الكبير والولي الشهير شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي والشيخ سيف الدين الباخري والشيخ سعد الدين الحموي والشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني وغيرهم الكثيرون من المشائخ

الصوفية وأصحاب الطرق المشهورة ، رحمهم الله ، على ما صرح به
اللكنوي وغيره.

و أخيراً ، وليس آخراً ، قد لجأ الشيخ الفريد إلى جناب شيخه الولي
قطب الدين بختيار الكاكي أو الكعكي بعاصمة دهلي حيث وجد بغيته و
استراح إلى رؤيته واستقر بكنفه فاشتغل بالعبادات والأوراد وذكر الله ،
وهنا فاض طبعه الفياض بالشعر العربي و الفارسي فاشتهر وذاع صيته كما
ظهرت منه الخوارق والكرامات الصوفية والتصرفات العجيبة مما جعل
الناس يقبلون عليه ويزعجونه فتضايق بهم و استأذن شيخه للسفر ، فمن
شعره الفارسي ينصح الصوفية ويوصيهم بالابتعاد عن الملوك والحكام:

كر وصال شاه مي داري طمع از وصال خویشان مهجور باش
أي أنك إذا كنت تطمع في اللقاء بالملوك والحكام وحرصت على مالديهم
من العز و الجاه والسلطة والأموال فتأكد بأنك سوف تفقد نفسك وتحرم
من الوصال بحبيبك الكريم واللقاء بربك الجليل و التشرف بحبه وغفرانه!"
ومن ذلك قوله في العبرات التي يسكبها الحب المهجور وراء حبيبه
الظاعن وهو يمشي مفارقاً إياه ، فيكاد يمسكه بكمه ليمنعه من الفراق
والابتعاد عنه قائلاً:

دو شينه شيم دل حزينم بكرفت و أندیشه يار نازنينم بكرفت
كفتم بسرودیده روم برادر تو أشکم بدوید و آستینم بكرفت
" قد كنت حزين القلب بالبارحة حيث غلبت على لبي و فكرتي
ذكريات عن حبيب جميل فأخذتني بمجامع قلبي فقررت في نفسي أيها

الحبيب أن آتى إلى بابك ما شيا بالرأس والعين إلا أن دموعي سبقتني
فسارعت وراءك لتأخذك بكحك أو ذراعك !!"

وعندما أشتد إقبال الناس عليه وتضايق بهم وبما يريدون منه من
مطالب الدنيا و يطلبون إليه الحوائج الدنيئة، استأذن شيخه الكعكي في
مغادرة العاصمة والتحول منها إلى مكان مجهول بعيد عنها فأذن له الشيخ
بالسفر فخرج إلى مدينة (هانسي) العسكرية فأقام بها اثنتي عشرة سنة وقد
تحدث اللكنوي عن إقامته بها فقال: " ثم رحل إلى مدينة هانسي وأقام بها
اثنتي عشرة سنة و اشتغل بالرياضة الشديدة والمجاهدة القوية فظهرت منه
الخوارق و الكرامات والتصرفات العجيبة وتقاطر عليه الناس".

وكان يقضى جل وقته بهذه المدينة بمسجدها الجامع في تلاوة
القرآن الكريم والعبادات وذكر الله عز وجل، وفي هذه المدينة نفسها قدّم
اتصاله بخطيب جامعها الشيخ جمال الدين الهانسوي الذي بايعه وصار من
أتباعه المخلصين، وجمع الحب في الله بينهما، والشيخ جمال الدين هذا ، هو
من أبرز خلفائه وأخلص أحبائه.

وحدث به في مدينة هانسي ما كان قد حدث به وهو في مدينة
دهلي العاصمة حيث اشتهر بزهده وكراماته مما جعل عامة الناس يقبلون
عليه ويزعجونه صباح مساء فاعتزم على مغادرة المدينة وقرر في نفسه أن
يعود إلى مسقط رأسه قرية كوئي وال المعروفة على مقربة من مدينة ملتان
التاريخية ولكنه لم يمكث بها طويلا لأن الناس أثقلوا عليه وأزعجوه فتضايق
بهم وهرب منهم متجها نحو لاهور حتى وصل إلى مكان بين ملتان ولاهور

كان يسمى (أجودهن) فقرر أن ينزل بظهر القرية ليدعو أهلها إلى الإسلام واختار أجمة من أشجار (الكري) فلجأ إلى أكبر شجرة منها فجلس في ظلها وأخذ يعيش على ثمرها وقشرها وورقها ويعبد ربه ويشكر نعمته، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال وأخذ الناس يأتون إليه من كل ناحية وصوب و يعتنقون الإسلام ويباعون الشيخ الذي بني لنفسه حجرة من الآجر والطين ليعبد الله فيها مع أتباعه، وهنا تزوج الشيخ من ثلاث زوجات فرزق منهن بالأولاد، وقد عرف ذلك المكان فيما بعد بمدينة (باك بتن) أي المورد الطاهر، وبها مدفنه وضريحه.

وقد ترجم له صاحب أخبار الأخبار فقال ما معناه:

"هو فريد الحق والأمة والدين الشيخ فريد الدين مسعود خليفة الشيخ الصوفي قطب الدين بختيار (الكاكي الدهلوي)، رحمه الله، ومن استفاد من ولي الهند وسلطانها الروحي الشيخ معين الحق والدين (أي الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري)، رحمه الله، والذي أفاد عليه بالكثير من الزهد والمعرفة وهو الذي قال فيه وقدرآه عند الشيخ الكاكي: "إنك يا بختيار قد قبضت على صقر مكانه فوق سدرة المنتهى أي هو صقر التصوف والزهد والفقر، وقد كان الشيخ فريد هذا من أعيان الأولياء وكبار المتصوفين وكان غاية في الرياضة الصوفية والمجاهدة والفقر والزهد، كما أنه كان آية في الكشف الروحية والكرامات الصوفية، وكان علامة من علامات الحب لله عزوجل ورمزا من رموز العشق الصوفي، وقد امتاز بذوق الرياضة والعبادة والتقشف وكان يحاول دائما أن يعيش محتفيا بعيدا

عن أنظار الخلق ومن ثم ظل يتنقل من مكان إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى وأخيرا ألقى عصا الترحال والتسيار في مكان مجهول بعيد عن الناس يسمي "أجودهن" (ومن ثم عرف الشيخ فريد بالأجودهي)، وكان في البداية عبارة عن قرية صغيرة نائية وكان أهلها جفاة أجلافا يرون الظاهر ولا يحفلون بالباطن وكانوا ييغضون الدراويش والأولياء، فقال الشيخ وهو ينزل بالمكان: "هذا مكان حري بنزولي به!" فنزل بظاهر القرية وسكن بها حيث لم يكن بها أحد يعرفه ولا يسأل عنه شيئا، وكان منزله تحت شجرة الكرير ذات أشواك مؤذية وثمرات حامضة فهناك كان الشيخ يشتغل بذكر الله وعبادته والتفكير في آياته الكونية، وكثيرا ما كان يشتغل بالذكر والعبادة بالمسجد الجامع، وهناك رزق بالأولاد الذين كانوا يعيشون حياة الفقراء والمعدمين ويكابدون الجوع والفاقة والمحنة والعناء، وبما أن الشيخ كان على أقوى برهان من الدين والحب لله والإخلاص له، فمن ثم لم يستطع أن يختفى عن الناس فظهرت أحواله على الناس فسرعان ما عرفوه وأقبلوا عليه من كل ناحية. و صوب!

وقد ذكره اللكنوي في نزهة الخواطر وتحدث عن زهده وكراماته ومكانته في التصوف وعن خلفائه الذين أخذوا عنه الطريقة الصوفية فقال ما نصه: "وكان من أكابر أولياء الله وصاحب تصرفات عجيبة وجذب قوى، له في أحوال الباطن شأن كبير بين المكاشفين، مشهور في ظهور الآفاق، ومذكور في بطون الأوراق، (وقد) أخذ عنه (التصوف) خلق كثير منهم الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين محمد (أولياء) البدايوني والشيخ علاء

الدين على الصابر الكليريّ والشيخ جمال الدين الخطيب الهانسوي والشيخ بدر الدين إسحاق الدهلوي!"

ومن أطرف ما يحكى عنه كما جاء في نزهة الخواطر بأنه كان قد بعث إلى السلطان غياث الدين بلبن (من ملوك دهلي وسلطينها الممالك) كتابا يشفع فيه لرجل فكتب له: "رفعت قصته إلى الله ثم إليك فإن أعطيته فالمعطى هو الله وأنت المشكور، وإن لم تعطه شيئا فالمانع هو الله وأنت المذخور!"

ويروي أنه كان يلبس الملابس البالية المرقعة فجاء له رجل بملايس له جديدة فلبسها فلم يلبث أن خلعها وأعطاهما للشيخ نجيب المتوكل من أتباعه وأقاربه قائلا له: "كنت أشعر براحة في ملابسي هذه البالية مما أشعر بها فيها!!"

وقد روى الشيخ المحدث الدهلوي، رحمه الله، أن الشيخ فريد الدين مسعود كان يكثر من الصرم النفلي وكثيرا ما كان يفطر على كأس من المشروب فكانوا يأتون بها للشيخ فكان يقسم النصف منها على من حضر عنده من الأصحاب والأتباع فلم يكن يبقى له منها إلا ثلثها وكان يشرك معه في هذا الثلث من حضر لديه مؤخرا ثم يأتون له بخبزين فلم يكن يأخذ منهما إلا قليلا وكان يوزع ما تبقي منهما على من حضر عنده ثم لم يكن يأكل شيئا إلا عند الإفطار من اليوم المقبل، وكان عليه دثار من الصوف يقضى فيه النهار فإذا أظله الليل جعل من الدثار مضجعا ولم يكن يغطي جسده كله بل كان إذا غطى به رأسه عريت رجلاه!

وقد امتاز الشيخ وانفرد بكثرة الذكر لهادم اللذات وقلة الطعام مع قلة الكلام، وبالع في الزهد والتقشف والرغبة عن الدنيا وما فيها من الزخارف و اللذائذ والألوان، وكان يكثر من العبادة والذكر والقيام ليلا والصوم نهارا منذ الطفولة إلى الكهولة وحتى آخر أنفاسه، وكان يأتيه كثير من الضيوف والمسافرين والفقراء والمساكين فيطعمهم ويسقيهم ما تيسر لديه من الأكل والشرب والذي كان يأتيه غزيرا من قبل أتباعه الأغنياء ومريديه المؤسرين في أكثر الأحيان ويسهر على خدمتهم ويفضل راحتهم على راحته وكان إذا أتاه أحد من الأتباع والمريدين فأراد منه البركة والدعاء له أو التعاويذ والرقى أوصاه بالمواظبة على العبادة وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، أو دله على آية كريمة يتلوها في الأوقات المحددة أو دله على أدعية مأثورة عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويروى أن الشيخ فريد قد مكث بدهلي العاصمة عند شيخه القطب الكاكي أو الكعكي مدة من الزمان فإذا أراد أن يغادر العاصمة ويودع شيخه الذي كان في حلقة من أصحابه وأتباعه، أعلن الكعكي على رؤس الأشهاد بأنه قد اختار فريدا يخلفه على طريقته الصوفية و ينوب عنه للهداية والإرشاد وأوصاه أن يأتي إلى العاصمة بعد وفاته ويتولى مسند الإرشاد من بعده وأنه سوف يجد عصاه ونعليه وخرقته الصوفية الروحية أمانة عند القاضي حميد الدين الناجوري، أحد أتباعه، وأما الشيخ فريد الدين مسعود فقد تبع شيخه القطب الكاكي وحذا حذوه حذو النعل بالنعل فأعلن إذ أحس بقرب الأجل في جمع من الأصحاب والأتباع

والمريدين، فقال: إن الذي سينوب عني وقد اخترته خليفة من بعدى، هو الشيخ نظام الدين المعروف بالأولياء الذي كان عالماً كبيراً وأذكى الأذكياء في وقته وكان الناس يرون فيه موهبة القيادة والحكم لو مال إلى الدنيا، ولكنه أثر الآخرة على الدنيا ورافق الزهاد والمتصوفة واختص بالشيخ فريد الدين مسعود الذي أثره على أولاده فأوصى له بالخلافة من بعده، ونظام الدين الدهلوي هذا قد عرف بلقب "الأولياء" ومن أتباعه الشيخ نصير الدين الدهلوي الذي لقبه الناس "مصباح دهلي"، والشاعر الفارسي الكبير والأديب العلامة والموسيقار الشهير أمير خسرو الدهلوي.

وقد توفي الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهي في الخامس من المحرم سنة 664هـ (السابع عشر من أكتوبر سنة 1265م) وله من العمر 95 سنة على ما رواه الكرمانى في سير الأولياء ومنه أخذه الشيخ المحدث الدهلوي في أخبار الأخيار وعنه اللكنوي في نزهة الخواطر، وقد رثاه الشاعر الفارسي أمير خسرو الدهلوي وضبط تأريخ وفاته في شعره، ولكنه على خلاف ما ذكرناه والذي صح عندنا.

وقد سجل خليفته نظام الدين أولياء الدهلوي بخط يده من بعض أقواله الجميلة وحكمه الرائعة المفيدة فقد قال الشيخ فريد، على ما رواه خليفته نظام الدين: "أربعة أشياء قد سئل عنها سبع مئة شيخ من شيوخ الطرق الصوفية وكان جواب الكل واحد وهي: من أعقل الناس؟ تارك الذنب! ومن أكيس الناس؟ الذي لا يغتر بشيء! ومن أغني الناس؟ القانع؟ ومن أفقر الناس؟ تارك القناعة!"

- ومن أقواله الحكيمة بالعربية أيضا:
- إن الله يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه ويردهما خائبتين!
- إذا كان فلا حزن وإن لم يكن فلا حزن! (ترجمة من الفارسية).
- جذبة من جذبات الحق خير من عبادة الثقلين.
- الصوفي يصفو به كل شئ ولا يكدره شئ.
- لسو أردتم بلوغ درجة الكبار فعليكم بعدم الالتفات إلى أبناء الملوك!
- وكان يكثر من رواية قوله عليه الصلاة والسلام: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس!
- وكان يروى قول شيخ الإسلام جلال الدين الرومي الذي قال: الكلام سكر القلوب، فز أول الكلام وآخره، إن كان لله فتكلم وإلا فاسكت!
- يوم الحرمان ليلة المعراج للصوفية!
- لا توصوا بأمر مهم إلى الرجال المهملين (ترجمة من الفارسية).
- إذا لبس الصوفي ملبسا فعليه أن يعتقد بأنه يلبس كفته (ترجمة من الفارسية)
- الآفة في التدبير والسلامة في التسليم.

- العلماء أشرف الناس والفقراء أشرف الأشراف.
- الفقير بين العلماء كالبدن بين كواكب السماء.
- أرذل الناس من اشتغل بالأكل واللباس.

فهذه هي أقوال الشيخ فريد بالعربية (وقد ترجمنا ثلاثة منها من الفارسية إلى العربية وهي التي صرحنا بها في نهايتها بين القوسين) والغرض من سردها وتسجيلها هنا إنما هو إعلام القارئ العربي بما كان يقدر عليه الشيخ ويملكه من الكفاءة باللغة العربية، وذلك يدل على صحة ما يروى عن الشيخ أنه قال الشعر بالعربية والفارسية والأردية بالإضافة إلى ما أبدع بالبنجائية من روائع الشعر، إلا أننا لم نعثر على شيء من شعره العربي وقد وصل إلينا القليل من شعره الفارسي كما يروى له الشعر الأردى أو الهندوى ومن ذلك ما رواه بعض المؤلفين في كتب التاريخ للشعر الأردى. ومما يدل على أن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، كان على مكانة من المعرفة باللغة العربية وعلومها وداها هو أن تلاميذه المختصين به أو أتباعه وخلفاءه قد كانوا من علماء اللغة العربية وأدائها وكانوا على مكانة فيها، ولهم مؤلفات بالعربية وقد اعترف الناس بفضلهم ومكانتهم في العربية وعلومها، فمنهم الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد النعماني الهانسوي الخطيب الذي ينتمى إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، رحمه الله، وقد عرف الشيخ جمال الهانسوي هذا واشتهر بصفته خطيباً بالمسجد الجامع لمدينة هانسي العسكرية وكان الشيخ فريد الدين مسعود قد نزل بهذه المدينة فمكث بها اثنتي عشرة سنة وقد طالت

إقامته بها لأنه أحب مريده الشيخ جمال الهانسوي حبا جما وكان الشيخ يقول: " الشيخ جمال إنما هو جمالنا!" وقد صرح به الفريد لمريده الحبيب هذا غير مرة قائلا: " يا جمال! إنني لأود أن أهيمن حول رأسك ليل نهار أي أحب أن لا يغيب رأسك ووجهك عن نواظري وعيوني!" وكان الشيخ جمال هو الآخر يحب شيخه الفريد وكان معجبا به وبعلمه وزهده وكان يتبعه في حياته الروحية ويحذو حذوه حذو النعل بالنعل في الفقر والزهد في الدنيا والإهتمام في العبادات والأذكار والأوراد حتى أن الشيخ فريد كلما سمع بفقره وزهده وترفعه عن زخارف الدنيا ومتاعها وأنه يكابد الجوع ويعاني من الفقر ويفضل حياته تلك على متعة الحياة وراحتها، فرح به كثيرا ودعا له بالتوفيق والنجاح في طريقه الصوفي، وكان الفريد يثق به للغاية ويكرمه كثيرا حتى أن الفريد لم يجز بالخلافة، وهو بمدينة هانسي، لأحد من الناس إلا إذا وافق به الشيخ جمال، وكان يقول الشيخ الفريد: "إن الذي رفضه جمال لن يقبله الفريد ولن يجيز له بالخلافة أبدا"، وكان الشيخ جمال يجيد اللغات الثلاث، العربية والفارسية واللغة المحلية، التي كان يخطب بها في المسجد الجامع وهي الهندوية أو الأردنية! وله شعر بها ومؤلفات وله رسالة في التصوف بالعربية المسجعة يقول في فصل من فصولها وهو يتحدث عن الفقر:

"الفقر خلق شريف يتولد منه الصلاح والعفة والزهد والورع والتقوى والطاعة والعبادة والجوع والفاقة والمسكنة والقناعة والمروءة والفتوة والديانة والصيانة والأمانة والسهرة والتهجد والخضوع والخشوع والتذلل.

والتواضع والتحمل والكظم والعفو والإغماض والإشفاق والإنفاق،
والإشارة والطعام والإكرام والإحسان والإعراض والإخلاص والانقطاع
والانفصال والصدق والصبر والسكوت والحلم والرضا والحياء والبذل
والجود والسخاوة والخشية والخوف والرجاء والرياضة والمجاهدة والمراقبة
والموافقة والمرافقة والمداومة والمعاملة والتوحيد والتهذيب والتحرير والتفريد
والوقار والمداورة والمواساة والعناية والرعاية والشفقة واللطف والكرم
والتعقد والشكر والفكر والذكر والأدب والاعتصام والاحترام والطلب
والرغبة والغيرة والعبرة والبصيرة واليقظة والحكمة والحسبة والهمة والمعرفة
والحقيقة والخدمة والتسليم والتفويض والتوكل والتبتل واليقين والثقة
والفناء والاستقامة وحسن الخلق، وكل فقير وجدت فيه هذه الصفات،
سمى فقيرا كاملا، وإذا فقدت، لم يسم فقيرا

وهذا ليس رصيذا لغويا محضا أو سرد المفردات اللغوية فحسب
وإنما هي مصطلحات صوفية تدل على الأحوال والمراحل في السلوك
الصوفي وتعبّر كل كلمة منها عن حالة أو مقام أو مرحلة أو منزلة عند
المتصوفين، وقد استقصاها الشيخ جمال أحسن استقصاء وأجملها أجمل
إجمال في رسالته القصيرة هذه لكي تدل على براعته وبراعة أصحابه من
سلسلة أتباع الشيخ الفريد وتلاميذه في مجال العربية وآدابها واهتمامهم بها
فسيما كانوا يتحدثون به في حلقاتهم الصوفية ومجالسهم العلمية وندواتهم
الأدبية والثقافية في وقتهم!

ومن أهم الملامح عن حياة الشيخ وسيرته والميزات التي امتاز بها شعره بين شعر صوفية الهند في عصره وفيما بعده من العصور أنه كان:

1. يزهد في الدنيا ويبالغ في كرهه لها ونفوره منها وكان يرغب رغبة ملحّة فيما عند الله من نضرة النعيم في الآخرة ولقائه يوم الجزاء، وفوق ذلك كله أنه كان يحب لقاء الله ويبحث عن وجهه الكريم بحث العاشق الولهان عن حبيبه، وكان يأمل ويؤمن بالنظر إلى وجهه الكريم ورؤيته التي سوف يرزق بها أولياء الله المتقون وعباده المقربون إليه، حيث وعدهم بها فقال: "وجوه يؤمّذ ناضرة إلى ربها ناظرة (القيامة 22-23). وهؤلاء هم عباده الصادقون المخلصون قد أحبوا الله فأحبههم وبلغوا الغاية في ذلك فنالوا كرامة عند الله فإذا نادوه سمع نداءهم وإذا دعوه استجاب دعاءهم وعن هؤلاء يقول سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث القدسي عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي يقول: "من آذى لي وليا فقد استحلّ محاربي!" وهم الأبرار الذين لو أقسموا على الله لأبرههم في قسمهم، وعنهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك رضى الله عنه!"

والزهد في الدنيا من سنة الأنبياء، ولا سيما سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يقول: "من زهد في الدنيا علمه الله تعالى بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى" (رواه في كنز العمال 6149:3).

و كما كان يعمل بسنة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الكريم الذي كان من أزهد الناس وأكثرهم حبا للفقير الغيور وكان يقول: "إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة! ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون! فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل!"

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالزهد في الدنيا ليكون من أهل الآخرة، وأخبره بما يترتب على ذلك من النتائج فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك" (رواه ابن ماجه).

وهذه هي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضی الله عنها، تخبرنا عن الظروف التي مرت بها الأسرة النبوية الكريمة من الفقر والفاقة وتحمل الشدائد في سبيل الله من أجل الآخرة، فتقول: "ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض!" وقد سأها ابن أختها عروة بن الزبير عن عيش الأسرة النبوية الشريفة بعد الهجرة فقالت: "إننا كنا نعيش على الأسودين التمر والماء!"، وقد سئلت عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد أن صار مؤسس دولة إسلامية ورئيسها الأول، وأخذت الغنائم تأتيه صباح مساء ولكنه كان ينتهي من تقسيمها وتوزيعها على من يستحقها من أهل المدينة من الفقراء والمساكين

والمحتاجين قبل أن ينام، فقالت: "ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قط غداء لعشاء ولا عشاء قط لغداء، ولا اتخذ من شئ زوجين، لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رى قط فارغا في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة!"

وما دامت هذه هي تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوصياته لأمته وسنته الطيبة، وما دامت هذه هي الحياة العملية التي عاشها بين أهله وأمته فأنى هؤلاء الصوفية الانتقاء والأولياء المقربين أن يقبلوا حياة البذخ والإسراف أو يرضوا بها وهم يتبعون سنته صلى الله عليه وسلم فيما يقولون أو يفعلون ولا ينحرفون عنها قيد شعرة مهما كانت الظروف والأحوال ومهما كانت الفتن والجواذب والمغريات من نعم الدنيا وزخارفها! وكذلك كان الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، الواعظ الشاعر والداعية المتصوف وقد ظلمه الناس الذين قالوا عنه وادعوا بأنه كان يبالغ في الكف عن الطعام ويغلو في حبه لحياة الفقر والفاقة والجوع! إنه لم يبالغ ولم يغلو في شئ أبدا وإنما كان صوفيا عاملا متشرعا متدينا يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إنه قد زهد في الدنيا ونعيمها وزخارفها لأنه فضل عليها حياة الآخرة ونعيمها الذي لا يفنى ولا ينفد، وإنما هو باق لن يزول، ولأن القرآن الكريم يقول لكل نفس مؤمنة تحب الله ورضاه وتحب الجنة ونعيمها:

"واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلته من السماء فاحتلظ به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقبلاً. المال والبنون زينة الحياة الدنيا والبقية الصالحة خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً!" (سورة الكهف 45-46).

3. ونرى الشيخ، رحمه الله، يكثر في شعره من ذكر الموت وهول القبر وذلك أيضاً لا يخالف الشريعة الإسلامية كما يراه البعض وإنما هو يوافقها تمام الموافقة لما ثبت من القرآن والسنة أن نزع الروح وسكرة الموت لحظة عصبية على المرء كما أن هول القبر وعذابه شديد مخيف، ومن دأب الواعظين الذاكرين أنهم يذكرون المؤمنين بهاتين المرحلتين من مراحل السفر الإنساني ويعظونهم بالاستعداد لهما، والإنسان بطبيعته يهاب الموت ويخاف القبر ولا يزال تحيد منهما وهو حي، وقد تحدي الكتاب العزيز اليهود الذين كانوا يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الدار الآخرة لهم من دون الناس، أن يتمنوا الموت لأنه يوصلهم إلى الله ويقربهم منه، ولكنهم لا يتمنونه ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، وأما الإنسان المؤمن الصالح الذي استعد لهاتين المرحلتين فإنه لا يخافهما بل يرحب بهما ويسارع إليهما لأن الموت يقربه من الله وينهي حياة البلاء والحنة في الدنيا فهو يلقاه باسم راضياً، فهذا هو سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يتحدث عن الدنيا الفانية وعن الإنسان الغافل من الموت والقبر فيقول: "يولّدون للموت ويعمرون للخراب

ويحرصون على ما يفنى ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان
الموت والفقر!"

(4) ويحكى عنه أيضاً أنه كان يفضل الوحدة والخلوة كما أنه كان
يعرض عن الناس ويتعد عنهم فأما الوحدة أو الخلوة فمما يحتاج
إليه الصوفي الزاهد العابد ليجد فرصة العبادة ويذكر خلالها ربه
دون الإزعاج والإحراج، وأما الإعراض عن الناس والابتعاد عنهم
فذلك مما لم يثبت عنه في شعره وما جاء أنه كان يتحاشى الناس
ويهرب عنهم فقد كان ذلك لأن طلاب الدنيا الجهال كانوا
يلجأون إليه لقضاء الحوائج الدنيوية ويقبلون عليه ليتباركوا به
وذلك مما لم يجز في الشرع ولم يرض به الشيخ إذ هو متصوف
داعية كان يدعو الناس إلى دين الله ويعظهم ويوصيهم ويصلح
أعمالهم وينصح لهم بالخير والعمل الصالح وكان يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وقد اختار له السكن بين الأجلاف والجفاة من
الناس الذين لم يعرفوا الدين وكانوا يكرهون الدعاة إلى الله
والوعاظ بالخير والعمل الصالح وقد أسلم الكثيرون منهم على يديه
ودخلوا في دين الله وأحبوا الشيخ حتى استحال ذلك المكان
الوحشى إلى مدينة من الأنس والحب وسمى بالمرور الطاهر وبه
مدفن الشيخ وضيحه اليوم كما مر بنا!

والشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، ليس رائد الشعر البنجابي
والشعر الصوفي في شبه القارة فحسب وإنما هو أول من قال الشعر بالأردية

والهندية أو الهندوية بالإضافة إلى قرض الشعر باللغتين العظيمتين العربية والفارسية، فهو، إذن، شاعر متعدد اللغى، إذا صح هذا التعبير، وبذلك تتضح وتتجلى المكانة الأدبية والثقافية التي يحتلها الشيخ في تاريخ آدابنا والصوفية الجشئية في البلاد، ومن ثم قد عرف عند أهل طريقته بشيخ الإسلام وشيخ الشيوخ وإمام الأئمة، فقد حظى العديد من خلفائه بالإمامة الصوفية كالشيخ نظام الدين أولياء في عاصمة الهند دهلى والشيخ على صابر في كلير والشيخ جمال الدين في هانسي والشيخ بدر الدين إسحاق في بنجاب وغيرهم كثيرون.

وقد عرف عدد لا بأس به من الشعراء في العصر الغزنوي "بشعراء ذوى اللسانين أي العربية والفارسية" فقد كانوا يجيدون اللغتين ويتقنوهما فيقرضون الشعر بهما وذلك حين بدأت العربية تتخلف بأسباب ومنها ضعف القوة السياسية التي كانت تساندها وتدافع عنها ومنها ذلك الأسلوب المقاماتي المتكلف العقيم من السجع والقافية الذي ثقل على الألسنة ونفروا منه فأخذت الفارسية الفتية الناهضة تحل محل العربية، ليس في الديوان الملكي والمكاتب الرسمية فحسب بل في مجال الثقافة والأدب أيضاً، ولم تعد للعربية مكانة غير المكانة الدينية بحكم القرآن والحديث النبوي فقد ظلت ولا تزال لغة الدين والعقيدة حتى يومنا هذا! وقد نشأ عدد غير قليل من الشعراء ذوى اللسانين في العصر الغزنوي وعندما دخل المسلمون، عرباً وأتراكاً ومغولاً إلى شبه القارة، لم يفرضوا أو قل إنهم لم يريدوا أن يفرضوا العربية أو الفارسية على المواطنين وإنما فضلوا التفاهم

والتخاطب معهم في لغاتهم المحلية وقد أطلق المسلمون على كل لغة محلية اسم اللسان الهندي أو الهندوي فكان العلماء والأدباء والشعراء والدعاة يتحدثون أو قل أخذوا يحاولون أن يتحدثوا إلى المواطنين بلغاتهم المحلية ويستخدمون في حديثهم كثيرا من المفردات العربية وقليلًا من المفردات الفارسية كما أن الشعراء بدأوا يقولون الشعر بالعربية والفارسية واللغة المحلية التي أطلقوا عليها اسم اللغة الهندوية في البداية والهندية في النهاية والأردية أخيرًا، وعرفوا بشعراء اللغات الثلاث، ومنهم أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي اللاهوري ومسعود سعد سلمان اللاهوري وأبو الفرج الروني اللاهوري في العصر الغزنوي، والأمير خسرو الدهلوي في عصر السلاطين، ولبعضهم دواوين شعرية بهذه اللغات الثلاث، وأما الشيخ فريد الدين مسعود فهو ليس شاعر اللغات الثلاث فحسب بل هو شاعر كثير اللغى، فقد قيل إنه قال الشعر بالعربية والفارسية والهندية والأردية (والفرق بين الأردية والهندية أنه إذا كثرت المفردات العربية والفارسية فهو شعر أردي وأما إذا كثرت المفردات السنسكريتية فهو كلام هندي!!).

ولم نعثر على شعر الشيخ العربي والذي ينسب إليه هو ليس له وإنما جري على لسانه أو تمثل به الشيخ في حديثه الجاري فظن أتباعه أنه للشيخ فمن ذلك ما يروي لعلی بن أبي طالب كرم الله وجهه كما في ديوانه والمصادر العربية الأدبية الأخرى وقد ظن الكرمانی وغيره للشيخ فريد الدين مسعود :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

الأقارب كالعقارب في أذاها فلا ترضي بعم ولا بخال
وينسب لعلي كرم الله وجهه كما في ديوانه ونفحة اليمن، وقد جري على
لسان الشيخ فظن الناس أنه له:

لو كان هذا العلم يدرك بالمي ما كان يقي في البرية جاهل
فاجهد ولا تكسل ولاتك غافلا فدامة العقبي لمن يتكاسل!
ولقد قال بعض الشعراء قصيدة عربية مدح بها شيخه فريد الدين مسعود
ومنها هذان البيتان (البسيط):

البدر يطلع من فريد جبينه والشمس تغرب في شقائق خده
تلك الجمال بأسره فكأنما حسن البرية كلها من عنده

وأما عن شعره الفارسي فإن أصحاب التراجم للشيخ فريد الدين
مسعود قد أوردوا له العديد من الرباعيات (أو الدوبيت) والأبيات المفردة
ولكنهم لم يدلوا على ديوانه الفارسي، وهذه الرباعيات والأبيات المفردة
وإن كانت قليلة، ولكنها تدل على أن قائلها شاعر فارسي كبير قادر على
الإبداع والابتكار بأسلوب فارسي لبق رزين قد مر صاحبه بمراحل الخبرة
والاكتساب حتى استطاع أن يأتي بهذه الروائع والبدائع من الفن، ومن
ذلك قوله في رباعية يتحدث فيها عن حبه لله عز وجل وما يعاني منه في
ذلك من الكتمان ويكابد من الألم:

عشق تو مرا أسير وحيوان کرده است
در کوئی خرابات بریشان کرده است

باین همه رنج و محنت أي دوست

اسرار تو در دلم که بنهان کرده است!

ومعناه: "إن حبك قد استأسرني وأدهشني يا حبيبي حتى كأنني لازلت أهيم
في زقاق الحانوت! ولكنني رغم هذا الألم والبلاء يا حبيبي! قد
أخفيت أسرار حبك في قلبي ولم أسمح لأحد أن يطلع عليها!"

ومن ذلك رباعية أخرى يتحدث فيها عن يدعي الزهد والنسك
وخدمة الخلق ولكنه، رغم ذلك، لا يمتنع عن الغضب والحقد و الإيذاء
وجرح العواطف والمشاعر لخلق الله:

کیرم که بشب نماز بسیار کنی

در روز دوائی شخص بیمار کنی

تادل نکنی زغصه و کین خالی

صد خرمن کل برسریک خار کنی!

ویرید أن يقول: "إنني أفترض بأنك تكثر الصلوات والذكر ليلاً
وأنك تقوم بعبادة المرضى وخدمتهم ولكنك ما دمت تكن في صدرك
غضباً وحقداً وغيظاً فكأنك تجرح المئات من الأزهار بشوكة واحدة!"
وله شعر أردي مزيج من المفردات الفارسية والمحلية وقد نال به
الأولية و الريادة في تاريخ الشعر الأردني، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،
فمنه ما يأتي من الأبيات التي تعتبر شعراً أردنياً بداياتاً عند النقاد:

وقت سحر وقت مناجات هي

خيز دران وقت که برکات هي

نفس مباداكه بكويد ترا
 حسب جه خيزي كه اهي رات هي
 باتن تنهاجه روي زير زمين
 نيك عمل كن كه رهي سات هي
 بند شكر كنج كه بدل جان شنو
 ضائع مكن كه عمر هيهاه هي

ومعني الأبيات: "إن وقت السحر هو وقت الدعاء والمناجاة فعليك
 أن تستيقظ فيها لأنه وقت الإجابة والبركات!
 ولعل نفسك الأمانة بالسوء قد يقول لك: نعم، لماذا تستيقظ؟ أما تري الليل
 لا يزال باقيا!
 ولما ذا تذهب تحت التراب وحدك؟! عليك بالعمل الصالح الذي سوف
 يرافقك!

"ولو استمعت إلى ما ينصحك به معدن السكر" (أي الشيخ فريد الدين
 مسعود!) بكل انصات وبكل قلب وروح، فلا تضيع عمرك ووقتك فإنه
 لا يتكرر ولا يعود أبدا!!"

وأما شعره البنجابي فهو كثير غزير يدل على خصوبة الذهن
 والقدرة على الإبداع والابتكار وولوع الشاعر بفنه وحبه ورغبته في
 النهوض به، ويبدو أن الشيخ فريد الدين مسعود كان قد بدأ يقرض الشعر
 بالفارسية وربما بالعربية أيضا وهو في عاصمة دهلي حيث كانت سوق
 العلم بهاتين اللغتين، أي العربية والفارسية، نافقة وكان الكتاب قد بدأوا

يؤلفون بهما كما أن الشعراء كانوا ينظمون الشعر بهما تقليدا للشعراء ذوي اللسانين في العصر الغزنوي، وكان ذلك مما دعا الشيخ إلى قرض الشعر باللغتين، إذ كان حديث العهد ببلاد ماوراء النهر وعواصمها الثقافية مثل غزني وقندهار وهرات وغيرها من المراكز الثقافية التي زارها الشيخ طالبا فعاد إلى زاوية شيخه قطب الدين بختيار الكاكي بالعاصمة فأعجبه السوق النافقة بما فبداله أن ينتفع بها فدخلها لكي يبرهن على كفايته النادرة وعبقريته الفذة فأخذ يقرض الشعر بالعربية والفارسية، ولكنه لم يكثر منه وإنما نظم بيتا أو بيتين باللغتين فطار عنه الخبر وعرفه الناس شاعرا متصوفا ووليا تقيا فأقبلوا عليه، فأما شعره العربي فلم يصلنا شيء منه، رغم أن التراجم كلها قد أجمعت على أنه قال الشعر باللغتين العربية والفارسية وهو بمعدنية دهلي العاصمة، وأما شعره بالفارسية فقد مرت بنا الأمثلة الشاهدة على ذلك إلا أن إقامته بدهلي العاصمة لم يكن طويلا فقد أقبل الناس عليه وأخذوا يزعمونه صباح مساء فتضايق بهم وأراد أن يخرج من العاصمة معزلا منزويا فاستأذن شيخه بذلك فخرج متجها إلى مدينة (هانسي) العسكرية البعيدة عن العاصمة حيث أقام بها نحو اثني عشرة سنة وتعلم اللغة المحلية وهي الهندية أو الهندوية وكان يعظ الناس بها ويدعوهم إلى الإسلام، وهنا أخذ ينظم الشعر باللغة المحلية واللغة الأردية (والفرق بينهما قليل ضئيل يقصر على مقدار المفردات اللغوية كما مر بنا آنفا).

وأخيرا، وليس آخرا، قرر الشيخ فريد الدين مسعود أن يعود إلى مسقط رأسه ومهجر آبائه في إقليم بنجاب على مقربة من مدينة ملتان وهي

قرية كوئي وال وسرعان ما أقبل عليه الناس فتبرم مما أرادوا منه من حوائج الدنيا الدنية والتعاويد والرقى فخرج هاربا متضايقا حتى نزلت به الأقدار. فكان قفرنا مجهول على ظهر قرية "أجودهن" التي عرفت وتعرف اليوم (باك بن) أي المورد الطاهر بين أهلها الجفاة الأجلاف، وهنا أخذنا الشيخ يقول الشعر البنجابية، ومنه صنع ديوانا ظل ينتقل في أيدي أولاده وأحفاده ويقال إن الكثير من شعره البنجابي قد ضاع ولم يصل إلينا منه إلا ما جمعه البابا (نانك) المعلم مؤسس الديانة السيخية الموحدة ثم ضم شعره هذا بعض أتباع البابا إلى الكتاب المقدس للديانة السيخية والذي يسمى (كرو كرنث) أي "الكتاب المعلم المقدس" وهو عبارة عن مجموعة الأنا شيد والأغاني والقطعات والقصائد الشعرية البنجابية للعديد من الشعراء ومنهم الشيخ فريد الدين مسعود والبابا (نانك) كما أن الكثير من الأبيات الشعرية التي جاءت على ألسنة الناس ويضمها كتب التراجم التي ترجمت للشيخ فريد الدين مسعود، وأما عدد الأبيات الشعرية التي يضمها الكتاب المقدس للشيخ فهو مئة و اثني عشر بيتا كما أن عدد الأبيات التي توجد في غيره من كتب التراجم يكاد يتجاوز المئة وهذه الأبيات الشعرية البنجابية للشيخ هي كلها أبيات مفردة تقريبا وقلما جاء منها مزدوجة أو كقطعة أو قصيدة، وهذا المنوال من الأبيات المفردة قد ابتكره الشيخ فريد فهو أبو عذرتة، وقد ظل من جاء بعده من الشعراء يقلدونه مثل الشاعر البنجابي (شاه حسين) والشيخ الو لي (سلطان باهو) والشاعر الصوفي (عبد الله شاه) القصورى وغيرهم!

وأما عن البابا (نانك) مؤسس الديانة السيخية وصلته بالشيخ وشعره فله قصة يجب أن نسمعها ونطلع عليها فقد توفي الشيخ فريد الدين مسعود إلى جوار رحمة الله وقد أوصي بالخلافة على طريقته الصوفية إلى الشيخ الولي نظام الدين أولياء المدفون بعاصمة دهلي، وأما تراثه الثقافي والشعري فقد أورثه وأوصي به إلى أولاده وأحفاده الذين احتفظوا به عندهم حتى جاء عصر حفيده إبراهيم المعروف بالفريد الثاني الذي التقى به الرحالة الإسلامي الكبير والسائح الشهير ابن بطوطة الطنجي المغربي وهو في طريقه إلى عاصمة دهلي فنزل عند الفريد الثاني وتحدث إليه وقد سجل ابن بطوطة انطباعاته عنه في مذكرته وضمها إلى كتابه المعروف عن رحلته المدوية في آفاق الشرق والغرب.

ومجموعة الشعر البنجابي للشيخ فريد الدين مسعود ظلت في أسرته حتى جاء الشيخ إبراهيم الفريد الثاني من أهل القرن السادس عشر الميلادي، وكان القديس (بابا نانك) المتوفي 1538م شاعرا وأديبا للغة البنجابية. وكان مولعا بالشعر الصوفي البنجابي مما جعله يقرر في نفسه أن يقوم بجمع الشعر الصوفي البنجابي والاحتفاظ به فخرج يطوف بلاد اقليم بنجاب وقد تأبط الكراسي وفي يده العصا يهيم ويجول ويسأل عن الشعراء وعن شعرهم على طريقة الأصمعي الذي جمع لغة العرب وأدبهم وهو يهيم في بواديهم وصحاراهم (ولعل نانك قد اطلع على طريقة الأصمعي ودأبه وهو في بغداد لأن مؤسس الديانة السيخية كان قد زار أرض الحرمين الشريفين ومكث بها مدة ثم اتجه إلى العاصمة بغداد فأقام بها سنوات ونزل بمكان

هناك لا يزال يعرف باسمه حتى اليوم!) فذلك القديس الموحد كان قد طاف السبلاد فزار مدينة (باك بتن) أو المورد الطاهر فقابل إبراهيم الفريد الثاني وحكي له بغيته وطلب إليه أن يزوده بما عنده من شعر جده الشيخ فريد الدين مسعود فأعطي له المجموعة الشعرية فضمها البابا إلى مجموعته ثم ضمها بعض أتباعه إلى "كرو كرانت" فهو المصدر للشعر بالإضافة إلى ماجاء في كتب التاريخ والتراجم وقد قام بتدوين الشعر الكثيرون من أهل العلم وقد طبع ديوان الشيخ وتوجد له طبعات ونسخ كثيرة يتداولها الناس كما أن الديوان قد ترجم إلى العديد من اللغات ومنها الإنجليزية .

والجدير بالذكر أن البابا (نانك) كان ابن تاجر هندوكي يستغل العامة ولا يوفي الكيل والسوزن كغيره من التجار الهنادكة مما جعل البابا(نانك) يثور عليهم وهو طفل نراهق كما أنه كره أن يعبد الأصنام وآمن بالرب الواحد وجعل يدرس الإسلام ثم خرج باحثاً عن الحق فزار الحرمين الشريفين ثم ذهب إلى بغداد فمكث بها زمناً يدرس أوضاع المجتمع الإسلامي المنحط في وقته ويلتقي بالصوفية المسلمين الأدياء وعندما عاد إلى الهند أعلن ثورته على المجتمع الطبقي الهندوكي ورجال الديانة الهندوكية من الكهنوت والتجار الهنادكة المستغلين وكاد يعلن إسلامه ولكن المجتمع المسلم الهندي المتخلف المتضعع حال دونه فبقي مستورا الحال يقرأ القرآن ويكتب آياته على قميصه فيرى منه الهنادكة ولم يقربه المسلمون إليهم! فعاش قديساً ثائراً وناسكاً زاهداً ينادي بالتوحيد ويدعو الناس إلى الخلق الحسن وخدمة الخلق حتى مات!

ويقال إن الشيخ إبراهيم الفريد الثاني كان قد استخار قبل أن يعطي المجموعة الشعرية لجدّه ويفوضها إلى البابا(نانك) فظهر له بالاستخارة أن الشعر لن يضيع على يديه وسيصل إلى الأجيال القادمة بأمان وضمان ودون أي عيب ونقصان. ولكننا لانعلم شيئا عن مصير الأصل المكتوب بالخط الفارسي لأن الكتاب السيخي المقدس كان ولا يزال يكتب بخط يسمى خطأ" غور موخيا" وهو خط السيخ ويشبه خط اللغة الهندية لغة الهنادكة! وذلك الخط السيخي لا يوجد فيه أصوات عربية ومن ثم قد حدث تصحيف وتحريف في شعر الشيخ فريد الدين مسعود ولا يزال في حاجة إلى من يعرف الخططين العربي والسيخي فيقوم بتحقيق الديوان. وشعر الشيخ فريد هذا الذي يضمه كتاب السيخ المقدس يحتوي على 112 بيتا ويسمى كل بيت "اشلوك" بالبنجابية القديمة التي كان يتحدث بها الشيخ فريد وهي كلمة سنسكريتية ومعناها الكلام الموزون أو البيت الشعري، وقد عولنا في تعريتنا للديوان على ثلاث طبعات له:

- (1) طبعة الأستاذ مقبول الهي
- (2) طبعة الدكتور نذير أحمد
- (3) طبعة الأستاذ محمد آصف خان.

وهذا الشعر البنجابي للشيخ فريد الدين مسعود هو شعر بنجابي، ويعبر عن عواطف الإنسان البنجابي ومشاعره تعبيرا صادقا كما أنه يعبر عن عواطف كل انسان ومشاعره تعبيرا صحيحا، فالواقع أن الشيخ يمثل الثقافة البنجابية تمثيلا بمعنى الكلمة، لأن الإنسان البنجابي بالأمس واليوم

إنسان رجب الصدر واسع القلب حلو اللسان سليم الذوق صادق اللهجة ليس في حديثه العام وكلامه العادي فحسب بل فيما يفعله عمليا ويقوم به من الترحيب الحار لكل مسافر زائر وضيف طارق ويؤثر غيره على نفسه في كل ما لديه ويملكه أو يقدر عليه من القيام بالخدمة وتقديم الضيافة والحفاوة بضيفه من أعماق صدره وبقلبه الصادق الذي يتدفق حبا وإخلاصا فكان الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، في شعره وفكره يجمع بين ما ورثه من التقاليد الثقافية والحضارية البنجابية منذ القدم وبين ما جاء له بحكم إيمانه بالله وحده وعقيدته الإسلامية السمحاء التي تقوم على التوحيد والوحدة البشرية والمساواة الشاملة والأخوة الصادقة من مبادئ دين الله الحنيف ومن التقاليد الثقافية العربية الفاضلة التي ورثتها رسالة التوحيد والأخوة والمساواة من نوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فشعر فريد هذا، إذن، إنما هو شعر يعبر تعبيرا صحيحا عن تعاليم الإسلام والثقافة العربية القديمة كما أنه يعبر تعبيرا صادقا عن الثقافة البنجابية المتدفقة حبا وإخلاصا للبشرية كلها دون تفرقة عنصرية أو تمييز عقائدي، إذ هي ثقافة تتدفق بالمشاعر الإنسانية الجميلة كما تجري وتتدفق الأنهار الخمسة التي تسقي وتروي الأراضي القاحلة الميتة فتحيا فتحوها إلى حقول خصبة خضراء كثيرة المنافع والخيرات في إقليم بنجاب!

ومهما كان أصل الشيخ فريد أو أرومته التي كان ينتمي إليها، أعربيا كان أصله أم عجميا، فذلك مما لا يهم بهذه المناسبة، وإنما المهم هو

أنه قال الشعر باللغة البنجابية التي تعلمها من أمه والتي كان يتحدث بها هو وكل من كان يعاصره من الناس، المسلمين وغيرهم في المنطقة ، الذين عاش بينهم فريد فتأثر بهم و أثر فيهم، وهذا الشعر البنجابي الذي قاله الشيخ في تلك اللغة البنجابية المغربية أو اللهجة الملتانية ، يمتاز بأسلوبه الخاص، فرغم أنه كان من أسرة قد تحدرت من هراة في أفغانستان إلى ملتان في إقليم بنجاب ولم يكن قد مضى وقت طويل على نزوح الأسرة إلى الهند و مغادرتها بلاد اللغتين العربية و الفارسية، إلا أن شعره البنجابي القح يحمل طابعا محليا خاصا، وقلما تجد فيه أثرا لغويا أو أدبيا من العربية أو الفارسية غير الفكر الإسلامي العريق، إنما هو شعر بنجابي قح بمعنى الكلمة ، وذلك إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشيخ ، رحمه الله ، قد كان من هؤلاء الصوفية المسلمين الأبرار الذين لم يكن يهمهم غير نشر الفكر الديني الإسلامي بين الناس و دعوتهم إليه في لغتهم الأصلية المتداولة فيما بينهم لكي يتمكنوا من فهم الإسلام فهما مباشرا جيدا صحيحا فيهتدي إليه من شاء أو من أراد به الله خيرا فيهديه إلى دينه، فذلك قد كان دأب الصوفية المسلمين وهمهم في شبه القارة، ولقد كان عباد الله هؤلاء يجلسون في مجالسهم العامة و في حلقاتهم المفتوحة فيأتي إليها كل من هب ودب دون تمييز أو تفرقة فيستمعون إلى حديثهم ، الذي كان سهل الفهم قريب المنال شيقا جذابا مرغوبا فيه، فينتفعون به ويستفيدون منه، وكان حديثهم هذا الممتع المفيد يتخلله ذلك الشعر الصوفي الممتع الفعال فيؤثر في نفوسهم و يجذبهم إلى الإسلام فيدخلون في دين الله عزوجل عن

رغبتهم فيه وحبهم له! ومن ثم قد جاء شعر هؤلاء الصوفية الأخيار تعبيراً صادقا عن المجتمع الذي عاشوا فيه، و تصويراً رائعاً صحيحاً للبيئة التي أنشروا فيها كما أنه ، في نفس الوقت ، يعبر عن الفكر الإسلامي ويصور جهود الصوفية في دعوة الإسلام و تبليغه إلى الناس في شبه القارة، و أن الجموع المتكاثرة من السكان المسلمين في هذه البلاد قد اعتنقت الإسلام و دخلت فيه نتيجة لجهود هؤلاء الصوفية الدعاة وهم أصحاب الفضل في ذلك جزاهم الله خيراً عن المسلمين جميعاً!

و أما اللغة أو اللهجة البنجابية ، التي اتخذها الشيخ أداة لشعره و التي كان يتحدث بها في أسرته و أهله و اختارها للتعبير بها، فهي لغة ملتان البنجابية أو اللهجة الغربية البنجابية عند اللغويين والألسنيين القدماء ، وهي التي كانت ولا تزال أداة للتعبير الشفوي ولغة التخاطب عند أهل ملتان و ما إليها من المناطق (وهي اللهجة السرائيكية عند المحدثين اليوم!) وهي مناطق واسعة وطويلة جداً وتقع على ضفتي نهر السند و تمتد من منابعه في المناطق الجبلية الشمالية إلى مصبه في بحر العرب حيث كان الإنسان في القدم يحب أن ينزل على سواحل النهر ويبنى بها المدن والقرى لكي يتمكن من الحصول على الماء للشرب والسفر فيه بالسفن والقوارب، والذين نزلوا بهذه المدن والقرى و عمروها وسكنوا بها، قد كانوا من أصول شتى و أجناس مختلفة من البشر، وكان آخرهم الفرس واليونان ثم العرب والأتراك والمغول، وجميعهم قد تحدثوا بتلك اللهجة البنجابية ، التي عرفت باللهجة الغربية وتعرف باللهجة السرائيكية اليوم،

وقد أثر فيها هؤلاء جميعهم و تأثروا بها خلال القرون الطويلة! فتلك هي اللغة أو اللهجة البنجابية التي تعلمها الشيخ من أمه الحنون وتحدث بها و قرض بها الشعر حين استقر أخيراً على ظهر قرية "أجودهن" أو "باك بتن" (أي المورد الطاهر) اليوم حيث قضى الشيخ فريد الدين مسعود ما تبقى من عمره و بها مات وبها مدفنه و ضريحه ، وهذه اللهجة البنجابية ، التي قال بها الشيخ شعره هي تمتاز بمفرداتها البنجابية القديمة و يوجد بها القليل من المفردات العربية و الفارسية ، وهي قرية من اللغة السندية وتشبهها في كثير من الأشياء.

واللغة البنجابية ، بصفتها إحدى اللغات القديمة في شبه القارة، لغة أدبية عريقة، وحتى يرى البعض بأنها هي أقدم من اللغة السينسكريتية ، وقد تكون أقدم من اللغة الدراورية التي كانت سائرة متداولة قبل أن يجيء الآريون إلى شبه القارة، إذ هي لغة الجنس البشرى الدراورى ، وهم السكان الأصليون لبلاد شبه القارة، فالبنجابية ، إذن، قد تكون أقدم لغة نطق بها الإنسان في شبه القارة ، ومن أبرز ميزاتها أنها لغة بسيطة سهلة و تمتاز بالأساليب البلاغية البسيطة السهلة على عقول العامة والخاصة في نفس الوقت ، إنهم يفهمون ما يلقي بها عليهم من الخطب وما قيل فيها من الشعر دون أية صعوبة و مشقة وعناء ، مهما بلغ الشعر القمة من المحاسن الأدبية والإناقات اللغوية والأساليب البلاغية ، وذلك مما يحفل به الشعر الصوفي البنجابي عبر العصور ، وشعر الشيخ فريد الدين مسعود دليل على

تلك الدعوى ، وهو خير مثال قلدة الشعراء المتصوفون في عصره وفيما بعده من العصور.

ومن المحاسن الأدبية والإناقات البديعية التي يمتاز بها شعر اللغة البنجابية هي الكثرة المفرطة من الكنايات والاستعارات المتنوعة ومثال ذلك المصباح الذي يكنى به مرة بالعين و أخرى بالروح في اللغة البنجابية فإن العين تضى و تهدي الطريق كما ينير المصباح البيت فإذا فارقت الروح الجسد، و قضى عليه بالموت، انطفأت العين كما ينطفئ المصباح فيسود الظلام البيت، ومثال ذلك بيت شعري أو أشلوك لرائد الشعر البنجابي و إمامه الشيخ فريد الدين مسعود الذي يقول:

فريدا دوهين ديوي بلديان ملك بيتها آ

كره ليتا كهت ليتا ديوري كيا بجها

و معناه: "أما رأيت يا فريد! أن الإنسان عند ما كان حيا كان مصباحا يشتعلاق ويضيئان أي كانت عيناه تلمعان، فجاء ملك الموت فحشم على الإنسان الحى ففتح قلعته أي جسده و نهب البيت أو قبض الروح و أطفأ المصباحين أي العينين!! "

فالبيت الشعري هذا للشيخ ملئ حافل بالكنايات والاستعارات يفهمها كل بنجابي بمجرد الاستماع إليه ، وتلك هي ميزة اللغة البنجابية التي قد انتقلت إلى آدابها شعرا و نثرا! و في البيت من المعاني والأفكار لا يطلع عليها إلا من تعلم البنجابية و عرف تقاليدها و أعرفها و أدرك ميزاتهما الأدبية، فالانتصار النهائي على الجسد أو فتح قلعته إنما هو إنذار

للجبابرة العنداء الذين يعتقدون بأنهم خالدون، و أن لهم حصونهم المنيعه وقلاعهم المشيدة سوف تدافع عنهم و تقيهم من الأعداء المغيرين و مهالك الموت وغوائله، فهكذا كان الصوفية المسلمون يعطون الطغاة من الملوك و يندرون الجبابرة من الأباطرة سوء العقابة لمن يظلم الناس منهم، ومن غضب الله و عقابه لمن ادعى العظمة والكبرياء ، وتأنك الصفتان قد استأثر بهما الله و خصهما لنفسه كما نص عليه الحديث القدسي:

" يقول الله عزوجل: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي!"

وللشيخ فريد بيت بسيط ولكنه حافل بالكنايات حيث يقول:

فريدا روتي ميري كاته دى لاهوى ميري بهكه
جنهان كهاديان جوبريان كهني سه نكي دكه!

و معناه: "إن خبزي الذي أعيش عليه يا فريد! هو من الأخشاب أي من ثمرات الأشجار وقشورها فهو طعام يغنيني من الجوع، وأما الذين يأكلون الأطعمة السمينة الدسمة، سوف يحزنون ويكابدون الألم ويندمون في النهاية".

فهذا البيت الشعري للشيخ فريد الدين مسعود يحكى لنا قصة كما أنه يحفل بالمحاسن الأدبية والروائع الفنية في الوقت نفسه، فأما القصة فهي أن الشيخ، رحمه الله، عندما نزل بظاهر القرية "أجودهن" لم يرد أن يكون عبئا على أحد أو يشحذ الأخباز على الطريقة التي يختارها الصوفية الفقراء وإنما قرر أن يعيش على ثمرات شجر الكرير الذي كان متوفرا في المكان

كما أن الشيخ كان قد نزل تحت أكبر شجر من بينها واتخذ منزلاً له وأخذ يعيش على ثمره وقشره وورقه وخشبه! وقد صرح به المترجمون له وقد استمرت حياته على ذلك المنوال مدة حتى تمكن من بناء الأكواخ له ولأهله! وحتى بدأت "الفتوحات" تأتيه من كل ناحية وصوب، وأما المحاسن الأدبية والروائع الفنية فقد كني الشاعر في بيته هذا بالخبز الخشي عن ثمرات الأشجار وقشورها وأوراقها التي عاش عليها مدة من الزمان والتي يعيش عليها الزهاد والنسك الهائمون المتجولون في البوادي و الصحارى دائماً يبحثون عن بغيتهم و يتجنبون الناس ويتعدون عنهم! ولم يعرف عن الشيخ أنه اتبع هؤلاء المغامرين، ولكنه قد عاش على ثمر الشجر الذي جلس تحته و اتخذ منزلاً كما استفاد و تمتع من ثمرات غيره من الأشجار الأخرى التي كانت حوله في الأجمة.

ومن نوادر التشبيه عند الشيخ قوله الذي يشبه فيه الصوفي الصابر الحليم بالشجر المثمر الذي يتحمل ضربات الحجارة والعصي من قبل من يجني ثماره ولكنه لا يمنع من ثمره بل هو يؤتي لهم ثماره و ينفعهم دون منع أو انقطاع ، يقول:

فريدا صاحب دي كر جا كرى دل جى لاه بهراند

درويشان نون لوري ركهان دي جيراند

ومعناه: "كن يافريد! عبد الربك وحده ولا تعبد سواه أحدا! وبه تستطيع أن تعزى قلبك و تطمئننه! و تذكر دائماً ولا تنس أبداً إن الدراويش المتصوفين في حاجة إلى صبر وحلم قد امتازت به

الأشجار المثمرة التي يأتي جناة ثمارها فيكيلون لها ضربات الحجر و
العصا ولكنها لا تمنعهم ثمارها و تتحمل أذاهم دون شكوى!".

وللصوفية طرق يتعزون بها و يلقنون الناس العزاء على أساسها،
فمن ذلك أن الذي يشترك فيه جميع البشر هو الحزن والألم ، لن تجد إنسانا
لا يحزن ولا يجد الألم والحن فذلك هو القاسم المشترك بين الناس جميعا،
وفيه يقول الشيخ ، رحمه الله: ما معناه: " قد ظننت أنا يا فريد: كأني
حزين وحدي ولكن ظني كان كاذبا!

فالحزن قاسم مشترك بين البشر ويعم العالم كله! فقد صعدت إلى
مكان مرتفع فألقيت نظرة من على المكان المرتفع فرأيت أن نار الحزن قد
شملت بيوت العالم كله وتحرق كل بيت!"
وفي هذا المعنى يقول شاعر عربي، والله دره:

كل من ألقاه يشكو للزمن ليت شعري هذه الدنيا لمن؟!

ومن روائع الفكر وبدائع القول عند الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله،
قوله في حب الزهاد لله ومشكلتهم في الوصول إلى حضرته جل جلاله:

فريدا كليين جكر، دور كهر، نال بياري نينه

جي جلان تي بهجي كمبلي، جي رهان تي تي نينه

ومعناه: "يا فريدا! الأزقة كلها وحلة ملساء، والمنزل بعيد جدا، وصلة
الحب بالحبيب تجري إليه، ولكنني إذا مشيت ابتل دثاري واتسخ، وإذا لم
أتقدم نحو الحبيب انقطعت صلة الحب به!!"

ونكتفي بهذا القدر من الروائع الفنية للشيخ فريد فهي كثيرة متنوعة ونترك المجال للقارئ العربي الذي أردنا أن نمتعه بهذه الترجمة العربية ونضيف بها شيئاً، ولو كان ضئيلاً حقيراً، إلى إثراء اللغة العربية، فجملة القول إن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، قد كان عالماً متديناً قد أتقن العربية وعلومها ثم كرس حياته كلها للدعوة إلى الله وإصلاح النفوس وبناء المجتمع وأنه كان شاعراً متصوفاً ومؤمناً موحداً لا يري في الكون قوة غير الله الحق الذي جبلت القلوب على حبه وسكنت إلى رحمته واطمأنت بذكره ووجدت الراحة في السبيل إليه - مهما كان صعباً وعراشاً! - وحنّت إلى حضرته شوقاً وفرحاً وسروراً! وكان ذلك مما جعل الشيخ لا يحفل بالدنيا وأهلها وزخارفها وكان يكرهها أشد الكره فلم يلتفت إلى ما فيها أو إلى ما في أيدي أهلها، ورأي أن ذلك كله إنما هو متاع الغرور، فاعتزم على أن يفر منها فرار الخائف من نار الحريق أو العائد بالله من الغريق! رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه.

أ.د. ظهور أحمد أظهر

لاهور في 2003/7م

تعريب الأبيات الشعرية

(1)

- يوم تمت خطبة العروس ففي نفس اليوم تم تحديد عقد قرائنها، فإذا ملك الموت الذي كنا نسمع به ، قد طلع وكأنه يقدم العروس للعريس كهدية الزواج (يقول إن الحياة قصيرة والموت حق وليس بين المولد والموت مهلة إلا كما يكون بين الخطبة ثم عقدة النكاح وتقدم العروس للعريس كهدية!)
- إن ملك الموت سوف يأتي فينزع الروح البائسة من البدن حتى وكأنه يمزق العظام ، فالأنفاس معدودة مكتوبة ، ولا تطول ، ولكن من الذي ينصح الروح البائسة ويقعها؟! (لحظة النزع صعبة رهيبة، وهي آتية البتة ، وعلى الإنسان أن يتعظ بذلك!)
- فالروح عروس والموت عريس يتزوج العروس ، فيذهب بها ويودعها الأقارب أنفسهم وهم يتباكون متعانقين بعضهم البعض (مشهد من المشاهد عند توديع الميت).
- إن الصراط إلى الخلود أدق من الشعرة وسرعة العبور عليه ستكون أسرع من الصوت! فهل تسمع يا فريد بالهاتف الداعي الذي يناديك قائلاً : لا تقف غافلاً حائراً مندهشاً! (لا تضيع العمر و استعد لعبور الصراط إلى الجنة بالعمل الصالح!).

(2)

- (يتحدث عن طريق الفقر الصوفي الوعر الصعب ويرى أن طريق أهل الدنيا أسهل منه بكثير، فيقول): إن باب الفقر صعب عسير، وأريد أن أختار طريق أهل الدنيا حيث يستطيع المسافر أن يشد رزمته ويحملها معه ثم يضعها حيث يشاء دون حظر أو تردد!

(3)

- إن الدنيا، بزخرفتها الالامعة وأغطيها الكثيفة، نار حامية، ولا يمكن لي أن أدرك حقيقتها و أميز بين خيرها وشرها ولكن الله جل جلاله كان بي رحيمًا وإلا فقد كنت على وشك السقوط فيها، والاحتراق بحرها اللاذع !

(4)

- (هنا يتحدث الشيخ عن أيام الحياة الدنيا القليلة التي تنقضي بسرعة ويشبهاها بحبوب سمسمية، ويتحدث عن ربه الصمد الغني الذي يتلى عباده دون أن يبالي بهم في بلائهم فيقول): لو كنت أعرف أن الحبوب السمسمية قليلة العدد لمألت بها كفى جيداً، ولو كنت على علم بأن ربي غني صمد لا يبالي بمن يتلىه من عباده لما افتخرت به كثيراً، ولكنني كنت خائفاً مترقباً فيما أعمل ولم أتدلل معه أبداً !

(5)

- لو عرفت أن الحبل مرخي مهلهل لشددت العقدة، وقد سرت في أرضك الرحبة كلها يارب! فلم أجد أحدا يباريك في الكبرياء وينازعك في العظمة! (يفقد العبد صلته بربه إذا كانت ضعيفة واهية، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ في العظمة والكبرياء!)

(6)

- (يريد الشيخ فريد الدين مسعود أن ينصح لنا مخاطبا نفسه فيقول): إذا كنت، أنت يا فريد، ذا عقل لطيف سليم فعليك أن تجتنب الذنوب والآثام، وعليك بالتواضع وخشية الله، وذلك بمعرفتك نفسك وباستشارتك قلبك وضميرك!

(7)

- (من نصائح الشيخ ومواعظه لأتباعه أنه يأمرهم بالعفو والصفح والصبر والحلم، عاملا بقوله سبحانه وتعالى: ولمن صبر و غفر فإن ذلك لمن عزم الأمور، وقوله تعالى: فاعفوا واصفحوا، فيقول): إن لطموك يا فريد! فلا تلطمهم وعليك أن تعود إلى منزلك أي أعرض عنهم إعراضا وتنح إلى ناحية فسوف ترى الناس قد تراجعوا عن الإساءة إليك!

64

(8)

- (الإنسان الغافل يضيع الفرص المتاحة ثم يندم على ذلك في النهاية! وعن ذلك يقول الشيخ فريد:) عند ما كانت فرص العمل متاحة شاركت الناس في اللهو واللعب يا فريد! وحين اقترب وقت الرحيل بدأت الرجوع إلى الله وأردت أن ترضيه وتتقرب إليه! فيا للخسارة والفضيحة!

(9)

- (الشيخ ينبه الغافل الذي يضيع العمر فلا يحفل بما يحتاج إليه في عقباه فيقول): أنظر إلى ما قضيته من عمرك يا فريد! فقد ابيض شعرك وأنت على وشك الرحيل! فقدم لعدك وما تحتاج إليه في عقباك، أفلا تري أن الذي قضيته من العمر قد ابتعد عنك ابتعادا و اقتربت ساعتك اقترابا!؟

(10)

- (الشيخوخة تتبع الشباب فتحول سم العواطف الجياشة إلى سكر الهدوء، ولكن من لآلام الوهن والضعف!؟ يقول الشيخ فريد الدين مسعود في بيته الشعري البنجابي هذا): انظر يا فريد! فقد انقضى شبابك فتحول من العاطفة الثورية إلى سكر السكينة والهدوء، و لكن ليس من تشكو إليه وتستعين به في آلام الشيخوخة وضعفها و وهنها، غير ربك الرحيم الكريم!

(11)

● (قد يستم الإنسان من طول حياته فيري صورته في المرأة وقد تغيرت فأين قضى الإنسان حياته وكيف تغيرت بشرته وصورته، سوال بوجهه الشيخ إلى الإنسان الغافل فيقول): إن عينيك يا فريد! قد حسرتا وعميتا من كثرة ما نظرنا إلى ما كان في شبابك من قبل، وأن أذنيك قد أصمتا وسدنا بكثرة ما أصفتا إليه، وأن غصن وجودك قد أينع الآن فتغير لونه وظاهره!

(12)

● (زمن الشباب هو خير وقت للتعبد و التزهد، أما الهرم فكل إنسان يزهد فيه ويرجع إلى الله بطبيعة الحال وإليه يدعو الشيخ فريد وينبه عليه فيقول): لم تذكر الله في شبابك وتذكرته في الهرم! وقد كان من واجبك المستحسن أيها الإنسان أن تصطبغ بصبغته الحب لربك جل وعلا فتكون صبغتك جديدة رائعة ليس لها زوال! (والجدير بالذكر أن أحد القديسين الشيخ قد علق علي قول الشيخ فريد في بيت شعري بنجائي له فقال: إن ذكر الرب الحبيب ينفع الإنسان دائما يا فريد! سواء كان ذلك في الشباب أو الهرم!)

(13)

- (إن الحب لله من سعادة المرء، ولكن يرزق به السعداء فقط وليس ذلك في مقدرة كل انسان، وإلى ذلك يشير الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله فيقول): كل امرء يتمني أن يرزق بحب الله وكرمه، إلا أنه لا يرزق به إذا تمني، وإنما حب الله هو كأس الحبيب سبحانه وتعالى يسقى بها من يشاء من عباده! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

(14)

- (الموت والفناء هو سبيل كل حي مهما كان جماله أو مكانته، ولا بد أن يفنى يوما في التراب! وهذا هو معني البيت البنجاي الذي قاله الشيخ فريد) قد رأيت عيوننا للحسان قد فتنت العالم كله، واستأسرته بجرها، ولكنها قد أكرهت بعد الموت أن تضع التراب مكان الكحل أو تتغوط الطيور فيها!

(15)

- (النصيحة والموعظة تنفع السعداء المحظوظين، وأما الأشقياء البائسون الذين يتبعون خطوات الشيطان فلا نصيب لهم من وعظ الواعظين أو نصيحة الناصحين، يقول الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله): قد بذلت المجهوديا فريدا! وأنت تصرخ وتتضرع وتنصح كل صباح ومساء، ولكن الذي قد أضله

الشيطان لن يستمع إليك ولن يقبل نصحك ولن يعيرك أي اهتمام!

(16)

• (من أراد رضا الله وقربه فعليه بالتواضع والمداراة): إذا أردت الطريق إلى الله فكن عشبا مفروشا في الطريق والذي يقطع تقطيعا فيمزق في الأقدام تمزيقا حتى تصل إلى حضرة الرب جل وعلا وتدخل في جنته بين المقربين إليه! (فمن تواضع لله رفعه الله!) -

(17)

• (التواضع خير علي كل حال، وفيه كل خير فلا تحتقره ولا تحتقر من يتواضع لله! وفي ذلك يقول شيخنا فريد) ولا تحتقرن السراب ولا تذمنه يا فريد! فإنه يفوق الكل! أما تراه يكون تحت قدميك حيا ولكنه سوف يبقى فوقك دائما بعد الموت!

(18)

• (الطمع في الدنيا والحب لله لا يجتمعان في قلب واحد، ومن ادعى ذلك فقد كذب، وعن ذلك يقول الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله): حيث وجد الحرص والطمع فلا مكان للحب والعشق هناك يا فريد! فإن الحب الذي يشوبه الحرص كذب ورياء، فإلي متى تستطيع أن تتقي المطر وأنت تحت

سقيفة مثقوبة متقطعة ذات ثغرات كثيرة تتقاطر منها الرذاذ
المسلسل من الحرص!

(19)

● (الرب في قلبك فلا تبحث عنه في الخارج!) لما ذا تهيم في
البوادي وعثاً أنت تمشي على طرق وعرة شائكة يا فريداً فإن
الرب عزوجل في قرية عامرة تسمى قلباً! فلا تبحث عنه في
البوادي والصحاري وإنما يجب أن تبحث عنه في قلبك!

(20)

● (الطفولة والشباب عهد قوة ونشاط، وأما الهرم والشيخوخة
فوهن وضعف ليس إلا! وذلك ما أراده الشيخ فريد بقوله):
قد استطعت أن تقطع الصحاري المترامية الأطراف برجليك
الصغيرتين هاتين يا فريداً! وأما اليوم، وأنا شيخ طاعن في السن،
لا أقدر على شيء، وحتى عروة الوضوء القرية المكان تبذولي
وكأنها على بعد مئة فرسخ مني!

(21)

● (السعيد من لا ينام غافلاً والشقي الذي ينام غافلاً وينسي
ربه): من هؤلاء الذين يبيتون ليلاً طويلاً نياماً غافلين حتى أن
أن جنوبهم تكاد تتألم من النوم الطويل! إن حياتهم هذه شقاء
وبؤس كيف ينامون وقد أنسوا ربهم! وكيف يرجون رحمة الله
ومغفرته يوم الحساب؟!

(22)

● (إذا كان الإنسان معدما فأني له أن يقري الضيوف بشئ غير
التأسف واليمين معتذرا بين أيديهم!) لو كنت أملك شيئا
للقرى يا فريد لضحيته لضيوفي الأحباء القادمين ولكنني لا
أقدر على شئ غير أن أحترق تحسرا ومعدرة كما تحترق
الياقوتة على الجمرات المشتعلة!

(23)

● (ما تزرع تحصد!) انظر إلى ذلك المزارع الأحق الذي يزرع
السنط ولكنه يرجو أن يجني العنب! إنه قد قضى عمره وهو
يغزل الصوف فإذا حان وقت اللباس أخذ يطلب الحرير!!

(24)

● (الطريق إلى الرب الحبيب جل جلاله صعب وعرفلا يصل إليه
إلا من تحمل الشدائد وأتى الله بقلب سليم وإلى ذلك ينبه
الشيخ فريد فيقول:) الأزقة موحلة، ومنزل الحبيب بعيد،
وأنا أطلب وصله! فلو مشيت في هذه الأزقة الموحلة في ليلة
مطرة لابتل ردائي وإن تأخرت في الوصول إليه لغاب مني
وقطع بي صلته!

(25)

- (لا بُد من الوصول إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى مهما كان الثمن!) : يا ردائي! كن مبتلا أو مخضلا والله! لينزل المطر كما يشاء! ومهما صعب الطريق إلى حضرته فلا بد لي من الوصول إليه لكي لا تنقطع صلة الحب به!

(26)

- (الإنسان يتحاشى التراب ويتجنبه وهو حي، أما بعد الموت فبئس قد كان من التراب وسوف يعود إليه كما كان وهذا هو المعنى الذي يتحدث عنه الشيخ فريد فيقول:) إنني مخطئ يا فريد حين أتحاشى التراب وأتجنبه وأحاول أن أحفظ عمامة رأسي لكي لا تصير قدرا بالتراب بينما أنا غافل، وأهمل الحقيقة المرة بأن رأسي سوف يأكله التراب يوما حين آوي إلى القبر وأتوى في الثرى ميتا!

(27)

- (الإيمان بالله والعبادة له أحلي الحلوات كلها:) إن السكر بأشكاله المتنوعة، والعسل بأنواعه المتكاثرة وحليب الجاموس بأوصافه، كل ذلك حلو، ولذيذ دون شك، ولكنك لم تتذوق الإيمان بالله والعبادة لربك الخالق الرازق إلا أنه أحلي الحلوات كلها!

(28)

(يريد أن يقول الشيخ: القناعة مريحة والحرص. محرج!): إن خبزي
يا فريد إنما هو من الخشب كما أن إدامي من الجوع! الذي يأكل
الخبز المسمن يعاني من الألم ويكابد الحزن دائما! (ويقول شاعر
عربي في ذلك:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع!

(29)

● (عليك بالقناعة والصبر ولا تطمع في الشهوات، وفي ذلك
يقول شيخنا الزاهد فريد!) كل خبزا جافا دون إدام واشرب
الماء البارد يا فريد! ولا تطمعن نفسك الحريصة في الخبز
بالمسمن في أيدي غيرك من الناس.

(30)

● (الروح أمر الله ومن ثم يتوق إليه توقانا شديدا كما يتوق
المحب إلى حبيبته أو المرأة إلى زوجها، والمتصوفة يكونون بالزوجة
عن أنفسهم وبالله عن الزوج وهذا هو المراد بقول الشيخ
فريد!): إنما لم تنم نومة مريحة دون زوجها وتشعر كأن بدنها
متعب مضطرب يتوق إلى زوجها ولكن المسكينة مطلقة
مهجورة فاسألوها عن قلقها وكيف باتت دون زوجها
الحبيب!

(31)

- (الروح مهجورة مطرودة من جنة الله لا قرار لها في الدنيا وتتوق دائما إلى موطنها الأصلي!): إنما (المرأة المطلقة) لا تجد موئلا في أصهارها وقد طردت من بيت أبيها، ولا يسأل عنها زوجها الحبيب ولا يعلم علمها أهي متزوجة ذات بعل حقا؟!)

(32)

- (عند الموت يفارق الروح الجسد الذي لا يمكن أن يبقى بعد الغسل طويلا فيسارع الناس في دفنه!) إن تلك المرأة المهجورة المطرودة قد استحمت واغتسلت فتزينت فاستراحت مستلقاة، ولكنها لن تبقى طويلا على تلك الهيئة وإنما سيفسد بدنها فيعطي رائحة كريهة مثل رائحة الحلتيت لأن رائحة المسك الطيبة أي الروح قد فارقت!

(33)

- (حب الله يعمر القلب فإذا حرم القلب من حب الله ذبل فمات): إني لا أخاف ذهاب الشباب ورونقه (والبيان على لسان المرأة المهجورة) وإنما أخشى الحرمان من حب الزوج المحب فقد رأيت الكثير من الفتيات قد فقدن شبابهن وحرمن من رونقه حين حرمن من حب بعولتهن!

(34)

- (الروح لا يزال يحزن ويقلق على فراق حبيبهِ الرب يحن إلى لقائه) يا فريد! الحزن سريري الذي قد نسج من نسيج الألم والمضجع قد أعد من الحجر والفراق فهذه هي حياتنا الدنيا يا مالك الملك! فارحمنا أنت مولانا يا ربنا الصادق الحق!

(35)

- (القلب الذي لا يحب، حجر، فأني له أن يقدر ألم الحجر أو لذة الوصول تقديرًا؟): الكل ينطق الحجر ويتحدث عن الفراق ولكنك أنت أيها الحجر تحتل مكانة السلطان الرفيعة بين عواطف الحب بأنواعها، وأن القلب الذي لم يذق ألم الحجر والفراق فكأنه ميت وخراب مثل المكان الذي يحرق فيه الهنادكة موتاهم!

(36)

- (نعم الدنيا ظاهرها حلاوة ولكن أصلها مرارة السم، وهي زائلة لا محالة، وأما نعيم الجنة فليس بزائل): يا فريد! هذه النعم الفانية في أصلها وجوهرها إنما هي مرارة عشب الخردل، ولكنها مطلاة مغلفة بالسكر، وأنت تري أهل الدنيا إما ظلوا يجمعونها و يدخرونها أو راحوا يبددونها تبديدًا!

(37)

- (الحياة غالية ويظنها الناس رخيصة وسوف يحاسبون عنها حسابا عسيرا): قد ضيعت أربع ساعات من يومك يا فريد وأنت تكسب دنياك! وأما ساعات الليل الأربع فقد ضيعتها نائما، وسوف يحاسبك ربك ويسألك عن غرض وجودك والمهمة التي خلقت لأجلها (خلق الموت والحياة ليلوكم أيك أحسن عملا!) ويقول شمس الدين الذهبي، رحمه الله:

يا غافلا من عمره بشيئة
 علقت يداك بأضعف الأسباب
 ضيعت ما يجدي عليك بقاءه
 وحفظت ما هو مؤذن بذهاب!
 المال يضبط في يديك حسابه
 والعمر تنفقه بغير حساب!؟

(38)

- (الوقت ثمين لأنه هو الحياة وسوف يحاسب الإنسان عنها): قد رأينا الجرس حين وصلنا إلى الباب (وكانوا يضربونه إيدانا بمضبي الساعة) ولكنه يضرب دون أي ذنب أذنه أو اقترفه ولكننا نحن مذنبيين فما عسى سيكون مصيرنا!

(39)

- (الجرس يضرب عليه بعد كل ساعة دون ذنب اقترفه فهو مسكين حزين كيف يقضى ليله): إن الجرس يصاب بضربات شديدة عند صنعه ثم يضرب عليه بعد كل ساعة خلال يوم وليلة، وهكذا الجرس المسكين يقضى وقته بين الآلام والأحزان دون ذنب اقترفه! وماذا سيكون مصيرنا نحن المذنبين!؟

(40)

- (الموت خير من سؤال غير الله وقد هانا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول الشيخ فريد الدين مسعود): لا تكلمي إلى غيرك يارب! ولا تجعلني أجلس أو أقف سائلا على باب أحد غيرك وإذا كان كذلك فإني أفضل الموت على السؤال وأرجئك يارب متضرعا إليك أن تمنيني إمارة العز والشرف!

(42)

- (طالب الدنيا وطالب العقبى يفترقان وكل واحد منهما له وجهة هو موليها!) وهذا حداد قد جاء وعلى كتفه فأس وعلى رأسه جرة ماء يريد أن يقطع خطبا من الشجرة التي أنا جالس تحتها. يا فريد فأنا أطلب مولاي جل وعلا بينما يبحث الحداد عن حطب الفحم أي أطلب النجاة من النار وهو يعد لها الحطب!

(43)

- (الأثرياء غافلون عن ربهم وعقباهم، بينما الفقراء يذكرون الله ولا ينسون عقباهم أبدا والحساب يوم الحشر عند الله!)
يا فريد! تري الناس قد ادخر بعضهم الثروات الضخمة بينما البعض الآخر ليس لديهم شئ وحتى الملح! وسوف يعرفون جميعهم يوم الحساب يخسرون أم يربحون!

(44)

- (الموت يقضى علي التاج والثروة، ويأوي الميت إلى قبر قفر موحش!) إن الذين كانوا أصحاب السلطة والجاه وكان معهم المطربون والمادحون قد قضى عليهم الموت فدفنوا في مكان قفر خاملين كاليتامي والمساكين!

(45)

- (مفاخر الحياة الدنيا وزينتها تنتهي بصاحبها في القبر الموحش) إن الذين بنوا قصورا عالية و دورا واسعة كانت نهايتهم الموت وقد خدعتهم الدنيا فأودت بهم في المقابر يا فريد!

(46)

- (أصدق الحقائق وأكبرها الموت، وكل نفس ذائقة الموت إذا جاء أجلها، صغيرة كانت أو كبيرة، فلا يتأخر ولا ينتظر، وعن ذلك يقول الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله): يا

فريد! كم من عضو يضمه جسد الإنسان (من الأيدي والأرجل والمعدة والأمعاء والأحشاء الخ) الذي يشده المئات من الأوتاد، وأما الروح فلا يشده وتد أو حبل وإنما هو حر طليق يفارق الجسد إذا حان موعده لا فرق بين الكبير والصغير فالكل ذاهب حسب نوبته ودوره وحتى شيخ المشايخ!!

(47)

● (الأجل لا يؤخر والموت لا يقاوم والإنسان يستسلم أمامه ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه ضد الموت!) إذا جاءك ملك الموت يا فريد فعليك بالاستسلام له بكل ما فيك من الجوارح والحواس لأنه سوف يفتح قلعة صدرك أي القلب وينهب بدنك ويطفئ مصباحك من العينين!

(48)

● (ومن يعمل شرا يراه ويحصد ما يزرعه): إن الأعمال الشريرة السيئة هي التي سيعاقب عليها الإنسان يا فريد! أفما رأيت القطن والكتان والخردل والسمسم وقصب السكر والكاغذ، هذه كلها تعصر في عصارة فتعذب عذابا أليما كما أن القدر والفحم يسودان كل شئ تسويدا فيكرههما الناس! (فكذلك الناس سوف يعذب بعضهم تعذيبا كما أن البعض الآخر يفضيهم الناس!)

(49)

- (النفاق والرياء من الرذائل المبغوضة المكروهة، وأهلها مبغوضون مكروهون عند الله وخلقه جميعاً): ترى أصحاب النفاق والرياء يمشون بين الناس وعلى أكتافهم سجاجيد، وقد لبسوا الصوف ولكن قلوبهم مقراض الحب والشفقة، وألسنتهم أحلي من السكر وظاهرهم صلاح وتقوى ونور وضيء، إلا أن القلوب مظلمة وهم يأمرّون الناس بالبر والصلاح، وينسون أنفسهم!

(50)

- (خشية الله الصفة البارزة من أوصاف أولياء الله الكرام) إن الإنسان الذي لا يخاف ربه ولا يخشاه ولا يطيع أوامره ونواهيه فلا يرجي منه الخير، وهذا الخوف والخشية مركزها القلب فلو شققت القلب الخاشي الخاضع لما وجدت فيه قطرة من الدم! فهذه هي غاية خشية الله في قلوب عباده المؤمنين!

(51)

- (فاخرج وابحث عن رجل مؤمن كامل الإيمان والتقوى ولا تضيع وقتك عند أهل المكر والرياء): عليك يا فريد أن تبحث عن بحيرة واسعة الأطراف المتلاطمة بالمياه النقية الطاهرة حيث تجد الجواهر والآلى! ماذا تبحث في بركة

حقيرة ذات الماء المكدر؟ لن تجد فيها غير الوحل الوسخ الذي
ينجس الأيدي؟!.

(52)

- (الزهد والتعبد في عهد الشباب، وهو سنة الأنبياء، وأما في الشيخوخة والهرم فالكل يتزهد ويتعبد وفي الحديث: ما بعث الله نبيا إلا شابا والخير كله في الشباب! وذلك ما يعنيه الشيخ بقوله): إن المرأة الشابة لم تحاول استرضاء زوجها الحبيب، فإذا كبرت وعبثا حاولت استرضاءه فيئست، وأما إذا وصلت إلى قهرها أخذت تصرخ وتحن إلى زوجها الحبيب فلن تجده بجانبها.

(53)

- (الفرجة والنزهة أيضا في الشباب، وأما الشيخ الهرم فقد ولي شبابه ولم يعد يتفرج أو يفرح فالخير كله في الشباب): قد أئنع شعر رأسك ولحيتك وشاربك، فما ذا تبقي يا فريد من الفرحة والفرجة لقلبك الغافل الماخن من التفرج والتنزه في هذه الدنيا الفانية؟!.

(54)

- (إلى متى هذا النوم والغفلة أيها الإنسان فالحياة أيام معدودة والموت لا محالة آت !): إلى كم اللهو واللعب والعدو والرقص فوق سطوح المنازل كالأطفال يا فريد! وإلى متى تنام غافلا

على السرائر المريحة فقد ضيّعت أيام حياتك المعدودة وأنت
تعدو على سطوح المنازل وتلهو وتلعب جيئة وذهاباً؟!

(55)

- (يريد أن يقول لا تحب الدنيا فتخسر، وخل هذه القصور
وإلى ربك فارغب) لا تحب هذه المنازل والقصور والدور يا
فريد! لأنك سوف تنزل قريباً في قبرك حيث ليس لك
حبيب ولا مؤنس، وسوف يلقون على قبرك تراباً ليس له وزن
ولا حساب!

(56)

- (عليك يا فريد! أن تعرض عن قصور الدنيا وثرواتها
وزخارفها، ويجب أن تذكر الموت القوي الأتي دائماً، وركز
أنظارك وخیالك على المكان الذي سوف تصل إليه يوماً (يريد
أن يشير إلى قوله سبحانه إنما الحياة الدنيا هو ولعب وأن الدار
الآخرة هي الحيوان، صدق الله العظيم!)

(57)

- وأعرض عن الأعمال غير الصالحة، وأهمل التوافة منها لأن
السيئات والتوافة سوف تحطك وتندم عليها بين يدي الله يوم
الحساب!

81

(58)

- (يريد أن يقول إن الزاهد من كان لله وحده، طاهر القلب في سلوكه، باسم الوجه فيما يصيبه في سبيل ربه!) يا فريدا! كن خادما مخلصا لصاحبك أي لا تعبد إلا الله مخلصا له دينك! وكن ذلك الدرويش الفقير الذي يتحمل كل شيء في سبيل ربه مثل الأشجار العالية المثمرة التي لا تمنع ثمارها لمن يضرها بالأحجار!

(59)

- إنني أسود الملابس ، أسوأ اللون قبيح المظهر ، وأنا مثقل بالذنوب والمعاصي يا فريدا! ولكن الناس ، رغم ذلك كله، يسموني درويشا فقيرا ويعتبروني زاهدا! (وهذا في منتهى التواضع من الشيخ وعلى طريقة الملامنة من الصوفية!)

(60)

- (الشاعر العارف يشبه القلب العاصي القاسي المتحجر بالأرض المحترقة الميتة فيقول بأن النصيح لا ينفع لذلك القلب كما أن المطر لا تفيد تلك الأرض الميتة ثم يشبه الإنسان العاصي القاسي المتحجر بالزوجة العقيم التي هجرها زوجها بعقمها فهي لا تزال تبكي وتتأسف على حرمانها، ولكنها لا ترجو أي اهتمام بها من قبل زوجها، فكذلك الإنسان الذي ختم الله على قلبه وسمعه وعلى بصره غشاوة!! إلا إذا أراد الله به

الخير!): إن المزرعة القاحلة الميتة التي احترقت دون الماء فإنها لا يمكن إحيائها مهما أصابها المطر الغزير، وكذلك الزوجة العقيم لم يبق لها من الأمل غير البكاء والتأسف والندم! (وهذا لا يرجع إلى يأس الشيخ وقنوطه كما يراه البعض، وإنما هي حقيقة واقعية تحدث عنها الكتاب العزيز فقال ختم الله الآية.)

(61)

- الإنسان يطمع في زخارف الدنيا وظواهرها فإذا لم يستطع أن يصيب منها شيئاً وأراد الخروج منها، ولكن أي له ذلك!! كانت المرأة باكرة تتوق إلى الزواج ولكنها، بعد زواجها، حين واجهت المشاكل في أصهارها وبيت زوجها، أخذت تندم على ذلك وتمت لو عاد إليها زمان بكارها ولكن أي لها ذلك! (الندم بعد فوات الأوان لا ينفع على أية حال من الأحوال!).

(62)

- جاء الإوز العراقي فجلس على بركة ماء حامض في أرض قاحلة مجذبة فهو المسكين لا يستطيع أن يشرب ماءها الحامض وإنما يتمنى لو سارع للطيران (الشيخ يشبه الدنيا بالأرض القاحلة المجذبة ويشبه الإنسان العارف النقي بالإوز العراقي فيقول إن العارف قد عرف الدنيا فوجدها نتنه مثل الجيفة التي

لا يرغب فيها غير الكلاب ومن ثم فقد جاء في الحديث النبوي : الدنيا جيفة وطالبها كلاب!.

(63)

• قد جاءت أسراب طيور بأنواعها الكثيرة واحدة تلو الأخرى فاستقرت حول بركة الماء فعمرتها أياما ثم طارت واحدة تلو الأخرى وسوف يأتي يوم تنتهي فيه مياه هذه البركة فلا يقي غير زهرة اللوطس الفريدة في مائها (كل شيء هالك إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام!).

(64)

• الإوز العراقي قد طار فوق في مزارع الدخن فجاء الناس ورائه و أخذوا يطردونه و يخوفونه لكي لا يأكل الدخن ولكن هؤلاء البسطاء لا يعلمون أن الإوز العراقي هو لا يأكل الدخن أبدا (الزهاد في الدنيا لا يرغبون فيها ولكن الناس يظنون فيهم ظن السوء!!)

(65)

• تكون لينة تحت رأس الميت في قبره وهو ملقى على التراب يلسعه حشرات الأرض من العقارب والحيات فيمضي عليه مئات الألوف من السنوات وهو ملقى وحيد على جانب واحد! (يصور الشيخ الميت في قبره كيف يلقي فيه دون مضجع حيث تلسعه الحشرات!).

(66)

- قد انكسرت جرة جميلة و انقطع حبل واهن اليوم، ولا ندري في أي بيت من البيوت قد نزل عزرائيل ملك الموت ضيفا! (الموت آت لا يميز بين القبيح والجميل أو الشاب والشيخ، ويقطع صلة الميت بدنياه!)

(67)

- قد انكسرت جرة الجسد الجميلة وانقطع حبل النفس الواهن يافريد اليوم! ولكن الأصدقاء الذين كانوا أعزاء في الحياة فوق الأرض كيف يمكن التزاور بينهم؟! (بالموت تنقطع الصلات والعلائق فللقاء ولا تزاور بعد الموت مع الأحياء!).

(68)

- أيها الإنسان الذي يترك صلواته المكتوبة أنت مثل الكلب الحقير لأن هذا المعمول المعتاد الذي اخترته ليس جيدا حيث لم تسأ يومًا إلى المسجد للصلوات الخمس الموقوتة! (فالصلاة عماد الدين والصوفية يسمون تارك الصلوة كلبًا بل أحقر و أذل منه بكثير!).

(69)

- إن الرأس الذي لا يخضع لمولاه في السجود هو لا يساوى شيئاً، ولا قيمة له ولا شرف! إنه يليق بأن يكون حطباً يحرق في النار تحت القدر!

(70)

- أين أبواك يا فريد! اللذان قد ولداك! إنهما قد ارتحلا من عندك منذ مدة ولكنك لم تشيع حتى الآن! (الإنسان الغافل عن عقباه الطامع في دنياه لا يزال حريصاً على البقاء في الدنيا مهما كانت الظروف والأحوال!)

(71)

- قم يا فريد! فتوضاً فصل صلاة الفجر وعنيك أن تقطع رأساً لا يخضع لربه ساجداً! (صلاة الفجر كبيرة على الكسالي العصاة كما أن الرأس العاصي المتكبر لا يستحق الحياة والبقاء!)

(72)

- مهّد قلبك ووطّده يا فريد! فلا تترك فيه الحفرات ولا الأطلال وحينئذ لن تواجهك نار جهنم أبداً و تنقذ نفسك منها! (حفرات الذنوب والآثام وأطلال الكبر والغرور في قلب الإنسان هي التي تقود به إلى النار!)

(73)

- استغث واصرخ يا فريد كما يصرخ ويصيح حارس مزرعة الذرة ولا بد أن تستمر صرخاتك وصيحاتك إلى أن تسقط آخر جذامة أو عشة من أعشاب المزرعة (الدنيا مزرعة الآخرة فعلى الانسان أن يعبد ربه ويدعوه طوال الحياة إلى أنفاسه الأخيرة!).

(74)

- عليك يا فريد بالقضاء على كبرك وغرورك فاقتل كبر النفس وقطعه تقطيعاً ومزقه تمزيقاً كما تمزق القطن بالمزبرة ، وحينئذ سوف تستحق رحمة الله التي لها خزائن، وتستطيع أن تنهب أية خزانة من خزائن الرحمة (الكبر يمنع رحمة الله فمن قضى على الكبر فقد استحق الرحمة!).

(75)

- يا ليتني لو قطع عنقي يوم ولدت يا فريد! وقطعوا السرة من رحم الأم لما واجهت مشاكل الحياة ولما عانيت الآلام! (لو مت يوم ولدت لما عانيت ولما تعذبت أبدا!)

(76)

- راحت الأسنان والأرجل وغابت الأبصار والآذان التي كان بها رونق الحياة فبكي قلبي على ذهابها وغياها وعلى موت الأحباء والأصدقاء! (الشاعر قد كبر وطعن في السن وفقد

الشباب و رونقه والأحبة وأنسهم، مما جعله يستثم الحياة.

(77)

- أحسن إلى من أساء إليك يا فريد ولا تتعذب بالغضب والغیظ! فإذا سلمت من هذه الأسقام والعوارض فقد اكتسبت كل شيء ونجوت! (الإنسان يتعذب كثيرا إذا غضب على من أساء إليه فإذا عفا عنه وصفح فقد نجأ!)

(78)

- روح الإنسان ضيف على الدنيا التي هي حديقة حضراء يا فريد! وقد دقت ساعة الصبح فعليك أن تستعد للسفر! (الدنيا فانية والإنسان فيها مسافر قد ورد مساء وسيسافر صباحا!).

(79)

- العبادة ليلا كالمسك يوزع على العابدين، والذين ينامون يحرمون منه ولا نصيب لهم فيه، فالعيون التي تفضل راحة الليل على عبادته لا تكتسب شيئا من فضل الله ورحمته!

(80)

- وظننت يا فريد أنني أنا الوحيد الذي يكابد الحزن ولكنه قد عم الدنيا كلها فأحزنها، وحاولت أن أتبصر الدنيا من المكان

الرفيع فرأيت نفس النار من الأحزان تحرق البيوت كلها!
وقال شاعر عربي:

كل من ألقاه يشكو للزمن ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

(81)

- لا تدمر حافة مصرف المياه لتغير مجراها لأنك سوف تحاسب لأعمالك، وأما تيار المياه فذلك مما لا تملكه أنت، وإنما هو في يد الله ومقدرته، فالمياه تجري كما يريد الجليل، ولا تتغير مجراها إلا بإذنه سبحانه وتعالى! (من أراد أن يسيطر على مجري الأمور فقد أراد الفساد والدمار لأن مجري الأمور بيد الأقدار!)

(82)

- قد قضينا النهار مع الأحزان كما أمضينا الليل على الأشواك، بينما نسمع الملاح ينادي واقفا على المورد: إن السفينة في ورطة من مياه المصائب وتكاد تغرق فيها (يقول: الكل يشكو ويكي الأيام في كل مكان، إذا الخلق كله يعاني من الأحزان والآلام، بينما ينادي المرشد المنقذ سبحانه وتعالى ويدعو للعمل الصالح!).

(83)

- السهر الجاري طويل عميق، وطفته التيار المتموج، ولكن السفينة لا خطر لها ولا خوف عليها من الطوفان مادام الملاح

الزكى الحاذق يقودها! (الدنيا كد و كفاح خطير و المرشد القائد جل جلاله ينقذ خلقه ومن يطيعه من أتباعه ويهديهم الطريق).

(84)

- وسوف تري الكثيرين يدعون في كلامهم صداقتك، ولكنك لن تجد فيهم مخلصا واحدا، وأنا لازلت أتحرق توقانا ولوعة من أجل صديقي الحبيب كما تتحرق ذرات الروث الجاف! (الصداقة ليست ادعاء كاذبا إنما هو صدق وإخلاص وتضحية قلما تجد ذلك في الدنيا!).

(85)

- نفسك الأمانة بالسوء يا فريد مثل الكلب النابح دائما، فمن الذي يستطيع أن يسمع لهذا الكلب الطامع الحريص! ولا بد لي أن أجعل القطن في أذني حتى لا أسمعها وهي تنبح بأطماعها مهما ارتفع صوتها في الرياح العاصفة! (أن النفس لأمانة بالسوء فلا تلتفت إليها ولا تنصت لها!).

(86)

- إن ربك لذو فضل عظيم يا فريد! لأن التمور قد أينعت بإذنه وأنهار العمل جارية بكرمه، ورغم ذلك فإن كل يوم آت سوف آتي على عمرك! (إن الله قد ملأ الدنيا بنعمه المتكاثرة إلا أن الزمان ينقص العمر!).

(87)

- قد بذلت الجهد الجبار والوقت الكثير في الزهد والتنسك يا فريد! لتبحث عن ربك حتى جف بدنك جوعا وعطشا وظنك الغربان هيكلا عظيما ميتا فأخذت تنهش أحص قدميك، ورغم ذلك فلم تتمكن من الوصل بربك وذلك من سوء حظ العبد ونصيبه! ("نحن أقرب إليه من حبل الوريد" إذن فلا فائدة من هذا الزهد المضي والتنسك الجاف!).

(88)

- أيها الغراب قد عثرت على هيكلي العظمي وتستطيع أن تأكل لحمي كله ولكنني أر جوك أن لا تأكل عيني الاثنتين هاتين لأنني أمل أن أرى بهما ربي الحبيب! (وتلك هي غاية الحب الإلهي والأمل الصادق في ربهم عند أولياء الله!)

(89)

- أرجوك أيها الغراب أن لا تخدش هيكلي العظمي واتق الله وعليك أن تطير في الهواء وكيف تأكل لحم جسمي وفيه ربي الحبيب!

(90)

- اسمع أيها الغراب! أنا أقلع عيني الاثنتين هاتين فاحملهما طائرا إلى وجه الحبيب فإذا أتيح لهما الرؤية إليه فتستطيع أن تأكلهما

بعد أن تريا ربهما الحبيب الذي طالما بحثنا عنه في عطش و
توقان شديدين للنظر إليه سبحانه وتعالى!

(91)

- وعند ما رأي الكركي الإوز العراقي يسبح على الماء اشتاق
إلى السباحة إلا أنه لم يتمكن منها فغرق مكبا على
الوجه! (والكركي رمز النفاق والرياء عند الصوفية بينما الإوز
العراقي يمثل النقاء والإخلاص على ألسنتهم).

(92)

- إنني ظننت نفسي إوزا عراقيا فاخترت صداقته وزمالة، ولو
كنت أعرف أنه كركي لما اقتربت منه طوال حياتي كلها (لأن
جليس السوء يفسد جليسه إذ هو يعرف به!).

(93)

- القبر المسكين ينادي صاحبه دائما ويقول له: تعال إلى
منزلك يا من ليس له منزل ولا مأوى فأنا منزلك
ودارك! ولأنك سوف تأتي إلى يوم لا محالة فتعال عندي ولا
تخف الموت (اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قيك!).

(94)

- ولقد رأيت بعيني رأسي خلقا كثيرا قد ارتحلوا واحدا بعد
الآخر يا فريد! إن الناس كل واحد له طريق وأنا لي طريق غير

طريقهم والكل مغادر هذه الدنيا لعقابه! (عند الموت ويوم
الحشر يكون الناس وحدانا! وكل واحد منهم ينادي: نفسي
نفسي ولا غيري!).

(95)

- ينادي الرب عزاسمه لابن آدم: إذا صلحت نفسك فاصبحت
رجلا صالحا لوجدتني معك! وإذا رزقت بلقائي ووجدتني
عندك لأرحمت نفسك وفرحت فرحا لا نهاية له! وأنت يا
فريد! لو صرت لي عبدا لعشت عيشة راضية ولصار الخلق لك
عبيدا! (من كان لله كان الله له وصار له الخلق كله!)

(96)

- الإنسان شجرة على ساحل نهر أو جرة من الطين داخل النهر
فإلى كم مدة تقاوم الشجرة أمواج النهر الطاغية المتلاطمة وإلى
كم مدة تستطيع جرة طينية أن تبقى سالما داخل النهر! ويد
الفسنا لا بد أن تتناول وتأتي عليك نهائيا! (كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام!).

(97)

- قد بقيت القصور خالية موحشة وراح سكانها إلى المقابر حيث
نزلوا تحت التراب، والآن ستقعد الأرواح حول مقابرها كما
تقعد الطيور المسكينة الحزينة في مكان قفر شاحب هائل! فإذا
مررت بها أنت أيها الشيخ الهرم فقل سلاما ورسالة منا بأننا

على وشك الرحيل فإما اليوم أو غدا! (هذه صورة حزينة ولكنها مرعبة للعالم الفانية والمقابر الموحشة والأرواح المسكينة التي تطيع أمر الله القهار!).

(99.98)

● إن سد الموت يدولي وكأنه ساحل النهر ينهدم و يسقط فيسيل تراه قليلا قليلا مع جريان الماء الجاري حتى يأتي اناء عليه أخيرا، وقد أبلغنا عن نار جهنم الفائرة الملتهبة في عقباننا مما يخوفنا ويسلط علينا هولا مرعبا! وأما أهل الدنيا من البشر فنراهم قد انقسموا إلى القسمين فقسم منهم قد أدركوا و فهموا الحقائق كلها فاستعدوا لها استعدادا ،والقسم الآخر منهم يمشون ولا يحفلون بشئ مما يجري حولهم أو يأتي لهم! ولن يكون معنا شئ بعد الموت غير أعمالنا في الدنيا وهي التي سوف تشهد علينا بين يدي الله عز وجل!

(100)

● كأن الإنسان كركي قد جلس على ساحل النهر يلهو ويلعب ويعربد أو كأنه إوز عراقي غافل يلهو ويلعب فإذا بالصقر، ملك الموت يفاجئه وإذا به ينسيه اللهو واللعب والعريضة حين يأتيه أمر الله وأجله! (وهكذا يأتي أمر الله والإنسان الأبله الغافل ينسي الأجل الذي يفاجئه دائما ولا يمهله لحظة إذ هو لا يتقدم ولا يتأخر أبدا!)

(101)

● جسم الإنسان المكون من سبعة أربطال يعيش على الماء والطعام، وهو قد جاء في هذه الدنيا وظل يهيم على وجهه يحمل عدلا مشدودا من الآمال الجسام دون أن يكتسب شيئا من العمل الصالح البناء في هذا العدل المشدود حتى يقتحم عليه الدار ملك الموت مكسرا جميع أبوابها فيأخذه أخذا مفاجئا ويشده شدا في قبضتيه الحديديتين بين يدي الإخوة الأحباء فيعدون جنازته إعدادا و يكفنونه بأيديهم فانظروا إلى مصير الإنسان المسكين قد خرج مسافرا سفرتة الأخيرة محمولا على آلة حذاء يحملها أربعة رجال على أكتافهم! فمن عمل عملا صالحا يا فريد في الدنيا فذلك ما ينفعه بين يدي ربه!

(102)

● إنني أفدي بنفسي لهولاء الطيور من الدراويش المتصوفة يا فريد! فإنك تراهم يعيشون في البوادي والغابات فهم ينقدون الحصى فتلتقطونها ويسكنون في الصحارى المجذبة، ولكنهم لا يتركون الطريق المؤدية إلى حضرة ربهم الحبيب! (هكذا يعيش الزهاد التساك في شبه القارة وكان منهم الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، الشاعر العارف البنجابي الأول!)

(103)

- قد ولي الشباب وحل الهرم يا فريد! فأخذ بدني يرتعش الآن،
فكأن الربيع قد انقضي ودخل الخريف فأخذت الأشجار
ترتعش وترتعد وسقطت ورقاتها! وقد بحثت عن مكان في
الأطراف كلها لكي آوي إليه ولكنني لم أجد مكانا آمنا يؤمن
عن ضعف الهرم ووهنه!

(104)

- يا فريد! قطع الملابس الحريرية تقطيعا فاجعلها قطعاً صغارا
والبس دثاراً من الصوف! واختر لك لباساً يفيدك عند اللقاء
مع ربك الجيب عز اسمه! (عش في الدنيا حياة يرضى بها
ربك!).

(105)

- إن الذين يتكبرون ويفتخرون بالمال والجمال والجاه يا فريد!
سوف يخرجون من الدنيا ولا شئ في أيديهم من الخير
والصلاح كالأطلال العالية التي ينزل عليها المطر وينحدر
منها الماء انحداراً حتى لا تبقى قطرة ماء فوقها! (الشيخ يشبه
الإنسان المتكبر بالطلال العالي الذي لا يمكث عليها ماء الأمطار
فكذلك المتكبر يموت ولم يكتسب شيئاً من الأعمال الصالحة).

(106)

- والذين نسوا الله في حياتهم الدنيا فلم يذكروه ذكرا البتة فإنك سوف تراهم قد اسودت وجوههم وهي تخوف من ينظر إليها! إن هؤلاء الأشقياء يكابدون الآلام في الدنيا كثيرا وأما في العقبى فليس لهم مأوى ولا ملجأ يأوون و يلجأون إليه(الآثام والجرائم تغير وجوه العصاة وليس لهم حظ ولا نصيب في الآخرة!).

(107)

- والذي لا يسهر في الهزيع الأخير من الليل أي لم يستيقظ لكي يتجهّد ويذكر ربه فهو ميت رغم حياته في الدنيا! وأنت أيها الإنسان الغافل! قد نسيت الله ربك ولكنه لا ينساك أبدا!(يرزق الله الأبرار والعصاة من عباده على السواء!).

(108)

- الصلوة والذكر في الهزيع الأول من الليل كالبراعيم والأزهار وأما ذكر الله في الهزيع الأخير فذلك ثمر ناضج فالذين يذكرون الله ساهرين ويعبدونه فهم الذين ينعم الله عليهم ويكرمهم برحمته!(وقد مدحهم الكتاب العزيز فقال: تستحي في جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا الآية).

(109)

- أيتها المرأة تبحثين عن بعل غير الذي هو بعلك؟ وذلك يدل على نقص وعيب فيك أنت، لأن النسوة ذوات السبعولة لا تنظرن إلى أحد غيرهم! (أنت تدعى عبادة الله ربك ثم تفكر في غيره بينما عباد الله لا يشركون به أحدا!).

(110)

- الصبر قوس و الصبر وتر و الصبر هو السهم و ما دمت أنت صابرا في طلابك غن الحق فلا بد أن تصيبه يوما ولن تخطئ في الوصول إليه! (الصبر سلاح المؤمن وقوته وهو من عزم الأمور "إن الله مع الصابرين" فمن كان معه ربه فلا غالب إلا الله!).

(111)

- والصابرون يثبتون في معركة العير ويتحملون الشدائد في سبيلهم إلى الحق جل شأنه! وأن الصابرين أقرب الخلق إلى الله ولكنهم يكتمون أسرارهم ولا يبجحونها لأحد أبدا! (وذلك جزاء الصابرين الثابتين على الحق!).

(112)

- إن الصبر قوة صامدة فلو اخترت الصبر سبيلا بكل ثقة و يقين لعبرت الطرق الصعبة الوعرة ولصرت أقوى من

الأثمار الهائجة المائجة التي قد تفقد المياه إلى أن تصير
نخيرات صغيرة! (الصبر هو أقوى سلاح المؤمن الصابر الذي
يقهر الصعاب وينتصر عليها دائما!).

(113)

• يتحدث عن المتصوفة الكاذبين المرائين فيقول: إن طريق
الزهد والتصوف طريق صعب وعمر و أما الذين نراهم في
يومنا هذا فهو زهد كالحب الكاذب الخادع ويقوم على
الرياء وما رأينا درویشا أو زاهدا واحدا يمشي ويسلك
الطريق الحق الصحيح من الزهد والفقر!

(114)

• (حب الله الصادق له حر وله وزن، يقهر العشاق
ويزيدهم قوة ونشاطا وعن ذلك يتحدث الشيخ فريد
الدين مسعود فيقول: إن بدني ليزداد حرا و لوعة ويحمي
ويضطررم مثل التنور إلا أنني داخل التنور من حب الله
ولكن حطبه من عظامي التي تحترق حبا حارا لربي
الحبيب، وأنا في سبيله للوصول إليه فإذا تعبت رجلي ولم
تستطع أن تمشي فسوف أمشي على رأسي آ ملا راجيا
بأنني سوف ألاقي ربي الحبيب!

(115)

- الدنيا بحيرة من الحرص والطمع والأمل ليس لها ساحل ولا حد، والإنسان مثل الطير المسكين يقع على شاطئ البحيرة فيجره ويجذبه هذه الآمال والأطماع إليها فأني له إن يتقيها إلا بإذن الله، وفي ذلك يقول الشاعر المتصوف: إن الطائر الواقع الجالس على ساحل البحيرة وحيد وحوله عشرات من أصحاب الفخ والشبكة! إن بدني قد تورط في أمواج البحيرة ولا أمل في النجاة والإنقاذ من غير الله جل جلاله!

(116)

- (العاشق الولهان يبحث عن طرق تمكنه من إرضاء الرب قائلًا سائلًا): ما هو الحرف الذي يفيدني في البلوغ من رضاه وما هو الوصف الحسن الذي يعجبه وما هي الكلمة الصحيحة التي أدعوه بها وما هو اللباس الذي البسه لكي يعجبه فيحبني!

(117)

- (يعرفنا الشيخ بالدرويش الزاهد المتواضع ولي الله ويقول): هو الذي يكون عاقلاً حكيماً دون أن يفرض عقله وحكمته، ويكون قوياً ويعتبر نفسه واهناً ضعيفاً ويكون

قليل المال ويشارك فيه معه غيره من عباد الله ويتقاسم
معهم مما رزقه الله فذلك هو الدرويش الولي!

(118)

● (والدرويش الولي من) لا يكلم الناس كلاما جافا مضجرا
يجرح القلب لأن الله في قلب كل إنسان، فهو لا يجرح
العواطف لأن قلب الإنسان لؤلؤة ثمينة وذلك هو
الدرويش الولي!

(119)

● وقلب كل إنسان غال ثمين فليس حريا أن تجرح مشاعره
وإن كنت تطلب وتتمنى أن تكسب رضا ربك الحبيب
الجليل فلا تجرح قلب أي إنسان أبدا.

شعر المقاطيع الموسيقية

ومن المقاطيع الموسيقية الهندية مقطوعة "آسا" قطعتان: آسا الأولى وآسا الثانية، وللشيخ فريد الدين مسعود شعر قداختاره الموسيقيون "الشيخ" لمناسباتهم الدينية في معابدهم حيث يغنون شعر الشيخ وهو كما يأتي:

شعر "آسا" الأولى

شعر المقاطيع الموسيقية للشيخ فريد

"صوت آسا الأول"

(1)

- الذين يحبون من أعماق القلوب هم الصادقون والذين يختلفون قلبا ووجها فيقال لهم غير الناضجين الخامات.

(2)

- والذين اصطبغوا بصبغة الله سيرزقون برؤيته والذين نسوا ذكر الله فقد أصبحوا حملا ثقيلا على أرضه فهم كالأموات!

(3)

- والذين اختارهم ربهم ليكونوا الدراويش وفقراء الله في خلقه فهم السعداء حقاً، وأولاد الأمهات الطيبات اللاتي تستحق التهنة والتبريك، وهم الفائزون برضا ربهم!

(4)

- يارب العالمين أنت الصمد وأنت كلي الوجود والباقي الخالد، والذين قد عرفوا الحق فأنا أحب أن أقبل أقدامهم وأرجلهم!

(5)

- يارب! قد عذت بك ولجأت إليك فأنت الغفار والشيخ فريد يتضرع إليك سائلاً راجياً فأنعم عليه بعبادتك!

شعر "آسا" الثانية

(1)

- يقول الشيخ فريد: أيها الناس! عليكم بحب الله والرجوع إليه فإنكم سوف تموتون وأن أجسامكم هذه التي من الطين سوف تكون تراباً والقبر ينادي بذلك إذ هو منزل الجسم الأخير ومنقطع الأثر!

(2)

- إن حياتك هذه يا شيخ فريد! إنما هي مزرعة الآخرة
ومجال العمل الصالح! إذن، فلا بد لي أن أمسك بآمالي
وأطماعي التي هي سرب من الإوز العراقي الجميل،
وتحرض نفسي على القلق والاضطراب من أجل هذه
الآمال الكثيرة والأطماع البعيدة!

(3)

- وما دمت أعلم علم اليقين بأن الموت آت ولن أرجع إلى
الدنيا مرة ثانية فلماذا أطلب الدنيا الماكرة الكاذبة وأضيع
نفسي من أجلها!

(4)

- وعلينا ألا نقول غير الحق ولا نكذب أبدا! كما يجب علينا
أن نتبع الطريق الذي أخبرنا به المرشد الهادي مع جماعة
المريدين غيرنا!

(5)

- الأقوياء في الإيمان مثل الشباب من الصالحين سوف
يعبرون الصراط عبوراً ، و أما ضعفاء الإيمان مثل النسوة
الجميلات ذات الأبدان الذهبية المتلألئة فإنهم سوف
يسقطون في المهالك فتقطع أجسامهم كما تنشر

الأخشاب بالمنشار! (عبور الصراط معركة لن ينتصر فيها
غير الصالحين!)

(6)

● الحياة الدنيا فانية ولا بقاء لها ولا خلود، ولن يدوم فيها
أحد يا شيخ! فإن هذا المكان الذي جلنا فيه جولة قد
سبقنا إليه الكثيرون، وقد ذهبوا إلى غير رجعة! وكذلك
نحن لسنا بعائدين!

(7)

● أسراب الإوز العراقي في فصل الخريف، والزهور المزدهرة
الحمرء في فصل الربيع، والرعود الصارخة في فصل
الأمطار و نومة الحساء بجانب عشيقها الحبيب في ليالى
الشتاء، كل ذلك مناظر رائعة ، ولكنها في معرض الفناء
دائما فلا قيمة لها ولا عبثة!

(8)

● المسافرون يمشون ولا يمشون، وعليك أن تسمع منى
نصحا نافعا! بدن الإنسان في رحم أمه يتكوّن و يكتمل
في ستة شهور ، وأما فناؤه ودماره بالموت فإنما هي طرفة
عين! (البناء صعب والفناء رخيص!).

(9)

- الأرض والسمااء كلها سوال يا فريد! وهو: أين ذهب الملاحون من القادة الكبار والجواب: القبور تعرفهم و تحويهم مع الزجر والطعن على ما قاموا به من الأعمال السيئة ، وهم يتحملون ذلك و يتعذبون به!

صوت "سوهي"

(مقطوعة موسيقية هندية معروفة)

و شعر الشيخ فريد فيه

(1)

- إنها (الحسناء) تكاد تموت حرقاً ولوعة و حسرة، وتلوى
كفسيها بعنف، كأنها قد جنت في فراق الحبيب والبحث
عنه! (الروح في هذه الدنيا قلقة مضطربة وتحن إلى بارئها
الحبيب سارعة وتظل تنادى و تقول كما يأتي:

(2)

- أنت الرب الملك ولماذا أنت غضبان وزعلان مني! أنا التي
ليس لها ذنب ولا عيب إلا أنني شقية مهجورة يارب!
وعلى استعداد أن ألي دعوتك متى ما دعوتني!

(3)

- أنت ربي وما لك ولكنني عشت في الدنيا ولم أستطع أن
أقدر قدرك يا مولاي! والآن وقد فقدت شبابي وأمضيت
وقتي غافلاً وأندم على هذه الخسارة!

107

(4)

- وقد قيل للوقواق الهندي: لماذا أنت أسود اللون؟ فقال المسكين: قد فارقت حبيبي منذ زمان واحترقت في فراقه حبا ولوعة حتى اسود لوني هذا الذي ترونه!

(5)

- وأني للعاشق الولهان أن يستريح دون عشيقه وحبيبه إلا إذا كان فضل الله فسوف ألتقي به وأطمئن إلى رؤيته!

(6)

- إنني كإمرأة وحيدة في مكان قفر ليس لها أنيس ولا رفيق وهي تخاف وترتعد!

(7)

- فإذا بها يكرمها ربها فتجد رفيقها الحبيب بجانبها وترفع أنظارها فإذا بها في حوار الله وبين يديه!

(8)

- إن سفرنا طويل وطريقنا صعب للغاية إنه أسرع من الصوت وأدق من الشعر!

(9)

- فعلي ذلك الطريق الخطير الصعب سفري فعليك يا شيخ فريد أن تأخذ ببالك هذه السفارة مبكرا صباحا! (سأعبر الصراط إلى حوار بي!).

صوت آخر يسمي "سوهي للت" وفيه شعر الشيخ فريد

(1)

● (يتحدث عن طغيان النفس الأمارة بالسوء في الشباب وعنده الفرص للعبادة فيقول): إنك لم تتمكن من شد الأخشاب للسفينة في وقتها أي لم تستطع أن تقهر نفسك في الشباب حتى طغي الماء في النهر، ولم يعد لك الوقت للسباحة، وخسرت الدنيا والآخرة! فلم تتمكن من الحصول على زهرة عيد الفطر، وقصرت في أعمالك! لا تحاول الآن أن تقطفها لأنها سوف تحرق يديك! (اترك الدنيا ولا تطمع فيها).

(2)

● يناديك مناد أيها الإنسان صباح مساء ويقول: كن صالحا واكتسب الحسنات، وأنت قادر عليها فلن تعود إلى دنيا العمل كما لا يعود الحليب المخلوب إلى ثدي، فذلك مستحيل!

(3)

● يقول الشيخ فريد: اسمعوا يا أصدقائي! سوف تأتينا دعوة من مولانا الحبيب جل جلاله، والإوز العراقي هذا أي روح الإنسان سوف يفارق جسده والجسد يصير إلى التراب في المقبرة وذلك هو المصير المحتوم!

فائت شعره

وللشيخ فريد الدين مسعود شعر غير شعره الذي رواه "المعلم نانك" في مختار شعره البنجابي الذي يضمه كتاب فئة الشيخ المقدس فمن ذلك أبيات ترجمتها كما يأتي:

(1)

• قم يا فريد النائم الغافل فكنس المساجد ونظفها، أ أنت تنام وربك حي قيوم لا تأخذ سنة ولا نوم "أفلا تعرف أن صلتك الودية بذات قاهر صمد! (عباد الله المخلصون لا ينامون!" تتجا في جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا!"

(2)

• ولا ترفع صوتك يا فريد! فإن ربك الجليل يعلم ما في القلوب! فإذا كنت أنا في قلبك فلما ذا تناديني بصوت مرتفع كأنني بعيد عنك! (قلوب المؤمنين عامرة بذكر الله هـ ولا تخلو منه طرفة عين!)

(3)

• ومن العباد الذين يتعظون تلقائيا حيث يعظهم الله نفسه، بينما البعض الآخر منهم من يطلب التوفيق بالله للمواعظ وقسم ثالث منهم يعظهم الله فلا يتعظون بذلك فهم كالصخور تنزل عليها المطر دون أن ينفعها في شيء

(الناس ثلاثة أقسام: السعداء المتعظون تلقائيا أو يطلبون التوفيق فيهديهم الله، وأشقياء لا ينفعهم الوعظ ولا النصح البتة!).

(4)

● إما تطلب الدنيا أو تطلب ربك الحبيب! ولكن احذر أن تركب سفينتين في وقت واحد حيث تكون رجل في سفينة وأخرى في سفينة أخرى فتغرق رجلاك منفردتين! (النفاق لا ينفع إما إلى الجنة مع الإيمان أو الكفر إلى النار!).

(5)

● قد صار الشيخ فريد عجوزا واهنا، وقد أخذت مفاصله ترتعش كما تهتز أغصان الأشجار بالريح العاصفة! وقد كادت الدلاء تصعد بالماء من البئر إلا أن الحبل أيضا على وشك الانقطاع! (قد صار الشيخ هرما واهنا ونضج عقله، وهو على وشك الرحيل!).

(6)

● قد فتحت مرسى السفينة واقتحمت بها المياه، إذن، فلا تقف باكيا على الشاطئ لأنك لن تعود إلى الدنيا فلا تنم نوما طويلا! (أنت في خضم الأخطار والمهالك! فلا تضيع وقتك واعمل لآخرتك كأنك ميت غدا).

111

(7)

- أما جسمك فإنه لم يعد قادرا على عمل، وأما قلبك فقد انفجر انفجارا فلم تعد تقدر أنت على شيء! فقم يا حبيبي وكن طبيبا وهات لي دواءً نافعا شافيا! (يستعين بالله في شيخوخته على العمل الصالح!)

(8)

- عليك بالباب الذي ركزت عليه أنظارك يا فريد! فلا تعد عيناك عنه! حتى ولو مطر عليك المطر الغزير! (كن ثابتا على دينك ولا تتزلزل!).

(9)

- إني أكابد ألم المرض، ولا ينفعني الدواء حتى ولو عالجني مئات الألوف من الأطباء، ولكنني أشتفى وأستفيق عندما أري حبيبي يحاني (القلب الولهان لا يهدأ إلا بقاء الله الحبيب!).

(10)

- أنست يا فريد تنام على السرير ليلا، وأما نهارا فإن بطنك يطلب منك أن تكتسب له رزقا! ولكن عند ما جاء وقت الاكتساب نمت على السرير! (قم الليل فتهجد واعمل لآخرتك!)

(11)

- إذا استطعت أن تنادي ربك يا فريد! فعليك أن تدعوه لأنه سوف يأتي عليك وقت فيه يستجيب الله دعائك! ولكنك إذا مت فلن تستطيع أن تدعو الله أو تناديه! (اغتنم العبادة ولا تضيع الفرص!)

(12)

- إن الإوز العراقي تستمر في سباحته في الأمواج المتلاطمة، ولكنني أني لهذه الكراكي أن تسبح إذ هي تغرق في أول الأمواج! (المؤمن القوي العزم لا يسئم العبادة أبداً بينما ضعيف الإيمان لا يثبت ولا يستقيم في العبادات!).

(13)

- لا ترفع صوتك يا فريد! فان الله عليم بذات الصدور! فإذا كان في قلبك شيء من سوء الدنس فعليك أن تبعده عنك وتطهر قلبك من الأدناس والسيئات!

(14)

- يا حبيبي الصادق أنا أذكرك صباح مساء دائماً، فعش فحاراً مسروراً، وتمتع بأحلامك الحلوة ليلاً!

(15)

- كن ملجأً مخلصاً لمن يلجأ إليك، ولا تطمع في شيء من عنده! وكن له ناصراً مساعداً دون أي طمع وحرص، أما تسري النهر كيف يعطي اللؤلؤ للغواصين فيه مجاناً و دون أي تعويض!

(16)

- (البشر أنواع) فمنهم من يشتري الملح على القرض، ومنهم من يتمتع بالمسك مجاناً ودون أن يدفع له ثمناً، ومنهم من ينظف ظاهره بالصابون والكل في الباطن ليس نزيهاً! وقد قال المعري:
يحسن مرايا لبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذب!

(17)

- اليوم أو غداً أو بعد أربعة أيام سوف تكون الحبيبة (هير) في ملكنا وحوزتنا ولكن المهم والمتع الأفضّل أيها الأخ هو: من هو المنتصر ومن هو المنهزم؟!

(18)

- أما تتمني لواحدة وتشوق إليها أو تسائل عن اللواتي يغيبنك ويشتنن إليك، ولكن لا تهلك نفسك في الاشتياق إلى من لا يعرفن الحب والشوق إطلاقاً! (كن عبد الله وحد ولا تتبع الهوى الكثيرة).

(19)

- تعالوا نبحث ونستفقد يا أصحابي! نعمل جولة ونهيم عشوائيا في الدنيا، ولكن علينا أن نحتفظ برأس مالنا أولا ثم نأخذ الربح على ذلك (الإيمان هو رأس المال للعمل الذي ينفع فاذا احتفظنا به فقد يمكن أن يثمر جهودنا!).

(20)

- هذه الأشجار ذات الأوراق الخضراء في البادية أو الغابة، قد قدر لها في الكتاب من الشهور والأيام (الأجل مكتوب والحياة محدودة فإذا جاء الأجل لا يتقدم ساعة ولا يتأخر أبدا!).

(21)

- هذه المساجد المقلوبة قد عمرها الله وزينها في حفظه وحوزته، وسوف تري في الدنيا في كل مكان جمالا يرجع إلى صنع الله وقدرته!

(22)

- إن الجسد الذي يعاني من الحجر والفراق منذ المولد والوجود كيف يمكن له أن يكون عليه لحم! وأن هذا النوع من الجسد كفى له من العظام والجلد وشئ قليل من اللحم!!

(23)

- لا يذهب بك الظن أيها الحب الودود بأنني أجد الراحة في
فراقك وأعيش عيشا رغيدا، وإنما أنا خشبة من البادية
أضطرم ليل نهار اضطراما!

(24)

- إن الذين ينسون الله ربهم الحبيب، ويضيعون الشباب
ويختارون طريق الحمق! هم في الواقع ينسون رأس المال
من الذهب ويمالئون أكفهم بالتراب! (وهي تجارة
خاسرة!).

(31)

- أيها الحبيب! الليالي طويلة جدا، ونجمع بين ليلتين دائما،
أما أنت فلن تستطيع أن تقضى ليلة واحدة منها وأما نحن
فلا بد لنا أن نقضيها كلها!

(32)

- إذا كنت درويشا فقيرا يا فريد! فعليك أن تحتفظ بعقيرتك
الصحيحة، وركز أنظارك على الصراط المستقيم، ولا
تنحرف عنه يمينا ولا شمالا قيد شعرة!

(33)

- وإذا أردت أنت أن تحج البيت فتأكد بأن الحج يتصل
بقلبك وضميرك، فحاجتك إلى أن تزيع الأستار عن

القلب وتنظف الباطن، وحينئذ سوف تكون حاجا صادقا
من الحجاج الأبرار!

(34)

• وما دمت تعيش في هذه الدنيا فعليك أن لا تترك فيها
آثارا من الإثم والعصيان، وعليك أن تهتم بشئ واحد وهو
رضا الله ربك الحبيب سبحانه وتعالى وأما ماعداه من
الأشياء ففوض أمورها إليه فهو نعم الوكيل ونعم المولي
ونعم النصير!

(35)

• إن الدنيا تبدو عروسا بزيها وحلاها إلا أنها كاذبة خدعة
ليس لها ثبات ولا دوام! وقد تراها بعينيك هاتين قد
اقفرت وتخربت في طرفة العين بين يديك! (متاع الدنيا
غرور).

(36)

• إنك ترى اللحي مع أصحابها يا فريد! ولكنها لاتساوى
بشئ في قيمتها ومكانتها، وإنما تختلف لحية من أخرى!
فمنها لحية تعادل مئات الألوف من الثمن والمكانة، ومنها
مالا تعادل قشة بل هي أرخص وأهون منها بكثير!

(37)

- دنيانا هذه حقيرة فالباب مخيف موحش، والدار مهجورة ضيقة، والقبر المظلم يناديني ويدعوني كل يوم! وتأكد يا فريد أنه ليس لك من دنياك هذه إلا عملك الصالح الذي سيرافقك في غدك من العقبى!

(38)

- وفي قلبك نهر يا فريد! فماذا ستأخذ من الساحل الذي تمشي عليه! فعليك أن تنغمس في الداخل وتغوص في نهر قلبك حيث تجدما تقصده وتريد!

(39)

- اشتغلت بأطماع الدنيا فنسيت الجهد في سبيل الرزق، والمشقة من أجل الاكتساب، وعندما حان وقت المسؤولية نسيت كل شيء! (يجب أن يكون الإنسان على وعي دائم ولا ينسي الواجب نحو ربه وخلق الله! فذلك هو التقوى!).

(40)

- عش علي أمل ورجاء صباح مساء دائما وأما مالي أنا فسوف تتحقق يوم يطل حبيبي علي من باب الدار!

(41)

- عش يا فريد كما تعيش و تبقي قشة في صحن المسجد حيث تدوسها أقدام المصلين، ورغم ذلك، فإن القشة المسكينة تبقي في مكانها في المسجد كما هي لا تشكو ولا تتحرك، فكذلك كن ثابتا متواضعا في حبك الصادق:

(42)

- قد فقدت جلدي في خدمة السيد الحبيب ولم يبق اللحم علي جسدي وسوف أظل في خدمته حتى يصير جسدي ترابا في القبر!

(43)

- وتستطيع أن تستريح وتأمين دون خوف وحزن، ولن يسألك أحد ولن يحاسبك محاسب إذا نزعت الكبر من الباطن فالكبر مصدر العصيان والطغيان، وهو الذي جعل إبليس شيطانا رجيمًا!.

(44)

- الليلة أربع ساعات يا فريد! ساعتان للنوم والراحة، وساعتان للعمل واليقظة! وأما النوم الطويل، فسوف يكون في القبر حيث يعرض الإنسان عن السهر الطويل الذي يمر عليه في الحياة الدنيا حيث يرضي حاجته من الراحة والنوم!

(45)

- إن عباد الله العاملين العابدين لا يستريحون كثيرا، ولا ينامون ليلا لأن الذين ينامون ويستريحون أني لهم أن يفوزوا بالبركات والثروات!

(46)

- الأذن والسن والعين كل ذلك قد فارقني وهجرني نهائيا! وقد كانت هذه كلها معي منذ القدم، وقد كانوا من رفاقي وأصدقائي إلا أنهم قد فارقوني أخيرا فبقيت وحيدا وفردا فريدا!

(47)

- إن الجوهرة تكون ثمينة جدا يا فريدا! ولكن قيمتها لا يستطيع أن يقدرها الزجاج، وإنما يعرف قدرها الملك العظيم أو الجوهري أو الصراف!

(48)

- إن أُمِّي كانت امرأة بسيطة حيث سمتني بالحياة! ويوم يأتي الأجل فيه فلا ينفع الاسم ولا الحياة! (الناس يتفائلون في التسمية ولكن التفاءل لا ينفع في شيء إذا جاء القدر وحن الموت!).

(49)

- إنني أنا مكة وأنا القصر وأنا المحراب وأنا الكعبة فإلى أين أتوجه في الصلوات! (الشاعر العارف يري نفسه قد تسرب في الوجود واستوعب الكون كله بقلبه ! وذلك من غاية الحب لما خلق الله في كونه من الخلق!

(50)

- قد هرب موسى من الموت باحثاً عن طريق النجاء فهام باحثاً مفتشاً عنه في أربع جهات من الكون فإذا بالأجل في موعده في مكانه وفي انتظاره!

(51)

- أما أنا فجسد ملئ بالعيوب والنقائص ولا أملك من الجمال والحسنات شيئاً، وأما أنت يا حبيبي! فلم أجد أحداً مثلك بينما يوجد أمثالي بآلاف المئات! ليس كمثلته شيء!

(52)

- إنك تجدد الكثير من السلاح والوسائل والآلاف من الجيش والخدم ولكن إذا أصابتك مصيبة فأنت الوحيد حيث لا ناصر لك ولا معين ولا صديق إلا الله!
